الكبائر

تأليف

مؤرخ الإسلام الامام الحافظ

شمس الدين الذهبى

تحقيق ومراجعة

سعد كريم الفقى

غفرالله له ولوالديه وللمسلمين



الكبائر

مؤرخ الإسلام الإمام الحافظ

شمس الدين الذهبي

تحقيق ومراجعة

سعد كريم الفقي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فتح الله به قلوبا غلفا وأذانا صماً وأعينا عميا فجزاه الله عنا خير الجزاء .

أما بعد ،

« يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

ثم أما بعد ،

فإن ارتكاب الكبائر والاصرار عليها يؤدى بالانسان إلى الهلاك والخسران المبين فى الدنيا والآخرة وقد تكفل الله سبحانه وتعالى أن يكفر الذنوب والمعاصى لمن اجتنب الكبائر والموبقات .

قال تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ النساء (٣١) .

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) ﴾ الشورى (٣٧) .

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ النجم (٣٢) .

وقال رسول الله ﷺ « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان

إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم .

لذا فقد شمر العلماء عن ساعد الجد لكشف هذه الكبائر وتوضيحها للفرد المسلم لتصبح جلية أمامه لئلا يقع فيها ولئلا يقارفها .

ومن خير الكتب التى أُلفت فى هذا الموضوع كتاب الكبائر للإمام شمس الدين الذهبى فقد جاء كتابه واضحا جليا سلساً فى موضوعه شيقاً لا يمل منه القارىء .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته إنه على كل شىء قدير وبالإجابة بصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

سعد كريم الفقى

تعريف
بالمؤلف وبكتابه «الكبائر»

هو : الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز التركماني، الفارقي، الدمشقي، الشافعي، الشهير بالذهبي :

أصل أسرته من «ميافارقين» [1]. ولد في دمشق سنة ٦٧٣ هـ ١٢٧٤م، وتلقى العلم عن شيوخ الشام ومصر والحجاز، وزار أكثر المدن لهذه الغاية، ونبغ في كثير من العلوم، وبخاصة في قراءات القرآن، والحديث، وضرب بحفظه المثل، ونعت « **بإمام الوجود حفظاً، وبشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل**»، وذاع صيته في الآفاق، وقصده طلاب العلم من كل صوب.

ذكر «الذهبي» في معجمه ثلاثمائة شيخ وألف شيخ ممن تلقى العلم عنهم وعلمهم واقرأهم، منهم مجموعة من كبار العلماء والمؤلفين المشهورين.

وفاته :

تولى «الذهبي» عدة وظائف علمية في دمشق، ولما كف بصره في سنة ٧٤١هـ انقطع عن التأليف، واكتفى بالتدريس إلى أن وافاه الأجل في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٨م. ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق [2].

ترك «الذهبي» ثروة علمية ضخمة أودعها في مؤلفاته المفيدة التي نيفت على تسعين مؤلفاً في الحديث والتاريخ والتراجم وغيرها، أعظمها تاريخه

(١) ميافارقين : إحدى ديار بكر وأشهرها فالذهبي ولد في قرية تسمى « كفر بطنا » من غوطة دمشق من أسرة تركمانية الأصل . تنتهي بالولاء إلى بني تميم وكانت تسكن في مدينة ميافارقين .

(٢) انظر ترجمته في طبقات السبكي ٢١٦/٥ الدرر الكامنة ٣٣٧/٣ شذرات الذهب ١٥٥/٦ ابن هداية ٩٠ .

الكبير (تاريخ الإسلام) ، وكتاب (سير النبلاء)، و (ميزان الاعتدال) و (المشتبه فى أسماء الرجال) و (تجريد الأصول فى أحاديث الرسول) وغيرها، وكثير منها مطبوع متداول.

وقد تحدث عن مؤلفات «الذهبى» كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين، وكتبت عدة دراسات عنه فى رسائل ومجلات عربية وأجنبية، وكلها أشادت بعلمه وفضله، ونوهت بما خلف من آثار علمية انتفع بها أبناء عصره، ومن خلفهم من أبناء العصور التالية حتى اليوم.

وكتابه «الكبائر» فى مقدمة مؤلفاته التى وضعها خاصة لطبقة من القراء، وقد عالج فيه موضوعات تروق لهم، وتفيدهم فى دينهم ودنياهم، وتقرب إلى أذهانهم أشياء قد يستصعبون فهمها فى الكتب العلمية الموضوعة للخاصة من العلماء وطلاب العلم.

فهو فى كتاب «الكبائر» قد يسلك طريق الواعظ المرشد الذى ينشد صلاح الناس وتقويم عقائدهم وسيرتهم، وساق ما أورده بلغة سهلة مفهومة وأسلوب واضح جذاب، وابتعد عن التعقيد والغموض والتصنع، فجاء كتابه نافعاً للخطباء والواعظين، ومنبهاً للغافلين والحائرين، وزاجراً للعصاة والمنحرفين وقائداً للراغبين فى سلوك طريق الله والحق والصواب.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما جهلنا اللهم ائتنا علماً نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا ورزقا واسعاً وعملا متقبلا وارزقنا العافية وارزقنا الشكر على العافية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

سعد كريم الفقى



الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل فى الكبائر والمحرمات والمنهيات.

الكبائر :

ما نهى الله ورسوله عنه فى الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين، وقد ضمن الله تعالى فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾.[1]

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغْفِرُونَ﴾ . وقال تعالى** : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾.[2]

وقال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[3] فتعين علينا الفحص

---

(١) سورة النساء آية (٣١) .

(٢) سورة النجم آية (٣٢) .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه ٢٣٣/١ .

ماهي لكي يجتنبها المسلمون. فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها، فقيل، هي سبع. واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[1] فذكر منها : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. متفق عليه وقال ابن عباس[2] رضي الله عنهما : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وصدق والله ابن عباس، وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة. ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض. ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر، مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبداً. قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.[3]

الكبيرة الأولى : الشرك بالله :

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما - أن يجعل لله نداً ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[5] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٢٧٦٦/٥ ومسلم ٨٩/١.

(٢) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس حبر الأمة ولد قبل الهجرة باربع سنين ، مات بالطائف سنة ٦٨ هجرية وهو أحد فقهاء العبادلة الأربعة . انظر ترجمته في المشاهير ٩/ وصفه الصفوه لابن الجوزي .

(٣) سورة النساء آية (١١٦) .

(٤) سورة لقمان آية (١٣٠) .

(٥) سورة لقمان آية (١٣) .

اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ (١).

والآيات فى ذلك كثيرة.

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار. وفى «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – قالوا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**)(٢) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. وقال ﷺ (**اجتنبوا السبع الموبقات**) (٣) فذكر منها الشرك بالله، وقال ﷺ: (**من بدل دينه فاقتلوه**) (٤) الحديث.

والنوع الثانى من الشرك: الرياء (٥) بالأعمال كما قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٦).

أى لا يرائى بعمله أحداً. وقال ﷺ: «**إياكم والشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء. يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» (٧). وقال ﷺ «**يقول الله: من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برىء**». وقال « **من سمع سمع الله به**

---

(١) سورة المائدة آية (٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه ٥/٢٦٥٤ ومسلم ١/٨٧.

(٣) سبق الإشارة إليه وهو صحيح.

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ١٢/٦٩٢٢.

(٥) الرياء: حب التجمل والظهور بالصورة الحسنة وابطان الشر فى النفس يقال راءه وراءة ورياءً: أى أراه أنه متصف بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه ومما لا شك فيه أن هذه صفة المنافقين.

(٦) سورة الكهف آية (١١٠).

(٧) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٥/٤٢٨

ومن راءى راءى الله به» [1]. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « **رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»** [2] يعنى أنه إذا لم تكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له، كما روى عنه ﷺ أنه قال : «**مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشترى به، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه، ولا منفعة له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئاً. فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة»** [3] قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [4]يعنى الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس. وروى عدى ابن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**يؤمر بفئام** – أى جماعات – **من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لاهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا. فيقول الله تعالى: ذلك ما أردت بكم. كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين** » [5] **تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطونى من قلوبكم. هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم** [6] **الناس ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى – يعنى لأجل الناس – فاليوم أذيقكم أليم عقابى مع ما حرمتكم من**

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه ٢٩٨٥/٤ .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٣٧٣/٢ وغيره وصححه الحاكم فى المستدرك ٤٣١/١ .

(٣) حديث موضوع انظر الزواجر للهيثمى ٤٣/١ .

(٤) سورة الفرقان آية (٢٣) .

(٥) مخبتين : أى الخاشعين والمتواضعين يقال أخبت إخباتا أى خشع وتواضع قال تعالى ﴿ وأخبتوا إلى ربهم ﴾ .

(٦) أجللتم : أى عظمتم .

جزيل ثوابي» [1] وسأل رجل رسول الله ما النجاة؟ فقال ﷺ : « **أن لا تخادع الله»** . قال: وكيف يخادع الله؟ قال: «**أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله. واتق الرياء فإنه الشرك الأصغر، وأن المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائى، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك، فلا أجر لك عندنا، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع»** [2]، وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص؟ فقال: المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ قال: أن لاتحب محمدة الناس. وقال الفضيل بن عياض [3] رضى الله عنه: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والاخلاص أن يعافيك الله منهما. اللهم عافنا منهما واعف عنا.

الكبيرة الثانية : قتل النفس

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [4]

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾[5]. وقال

---

(١) حديث موضوع رواه أبو نعيم فى الحلية ١٢٤/٤ وابن الجوزى فى موضوعاته ٦٢/٣ . وفيه أبو جنادة بن مخارق وهو كذاب .

(٢) حديث ضعيف عزاه العراقى فى تخريج إلى ابن أبى الدنيا .

(٣) هو الفضيل بن عياض التميمى أحد بنى يربوع يكنى أبا على ولد بخراسان بكورة أبى ورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها أسند عن جماعة من كبار التابعين منهم الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وغيرهم توفى الفضيل سنة ١٨٧ هـ انظر صفة الصفوة ٤٧٠/١ .

(٤) سورة النساء آية (٩٣) .

(٥) سورة الفرقان آية (٦٨ - ٧٠) .

تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾.[2]

وقال النبى ﷺ : «**اجتنبوا السبع الموبقات**» [3]. فذكر قتل النفس التى حرّم الله إلا بالحق. وقال رجل للنبى ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قال: ثم أى؟ قال «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قال: ثم أى؟ قال «**أن تزانى حليلة جارك**» [4] فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [5]الآية. وقال ﷺ « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار**» قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال «**لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه**» [6].

قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو، فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل فى هذه، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصاً على قتل صاحبه. ومن قاتل باغياً أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه. فإن الحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة. فأما من خالف هذا النعت فهو الذى يدخل فى هذا الحديث الذى

---

(١) سورة المائدة آية (٣٢) .

(٢) سورة التكوير آية (٨ ، ٩) .

(٣) سبق الإشارة عليه وهو صحيح .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٤٤٧٧/٨ ومسلم (٨٦) .

(٥) سورة الفرقان آية (٦٨) .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى برقم ٦٨٧٥ ومسلم ٢٨٨٨/٤ وغيرهما .

ذكرنا، والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ : « **لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] وقال رسول الله ﷺ «**لا يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً** »[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم « **أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء**» [3]، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «**لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** » [4]، وقال ﷺ : «**الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس** » [5] وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها فى النار، وقال ﷺ : «**لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» مخرج فى الصحيحين [6]، وقال ﷺ «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً**» [7] أخرجه البخارى [8].

فإذا كان هذا فى قتل المعاهد – وهو الذى أعطى عهداً من اليهود والنصارى فى دار الإسلام – فكيف يقتل المسلم. وقال ﷺ «**ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً**» [9] صححه الترمذى [10] وقال ﷺ «**من**

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٢١/١ ومسلم برقم (٦٥) .
(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٨٦٢/١٢ .
(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٨٦٤/١٢ ومسلم ١٦٧٨/٣ .
(٤) حديث صحيح رواه الترمذى ١٣٩٥/٤ والنسائى ٨٣/٧ وغيرهما .
(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٦٦٧٥/١١ .
(٦) انظر صحيح البخارى ٣٣٣٥/٦ وصحيح مسلم ١٦٧٧/٣ .
(٧) انظر صحيح البخارى (فتح) ٣١٦٦/٦ .
(٨) البخارى : هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى أبو عبد الله إمام الدنيا جبل الحفظ ثقة الحديث من الطبقة الحادية عشرة توفى سنة ٢٥٦ هجرية . انظر تهذيب التهذيب ٤٧/٩
(٩) انظر سنن الترمذى ١٤٠٣/٤ .
(١٠) الترمذى : هو أبو عيسى محمد بن ثورة الترمذى نسبة إلى ترمذ احدى بلاد ما وراء نهر جيحون ولد سنة ٢٠٩ هـ صاحب السنن التى ألفها رغبة منه فى تأليف كتاب فى أحاديث الأحكام . توفى أبو عيسى الترمذى سنة ٢٧٩ هجرية .

أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى» [1] رواه الإمام أحمد [2]. وعن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»** [3]. نسأل الله العافية.

الكبيرة الثالثة : فى السحر :

لأن الساحر لا بد وأن يكفر. قال الله تعالى :

﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾.[4]

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت :

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [5] أى من نصيب.

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون فى السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء [6] وعملها وهى محض السحر

---

(١) حديث ضعيف رواه ابن ماجه ٢٦٢٠/٢ وأبو يعلى ٥٩٠٠/١٠ وغيرهما . وفيه يزيد بن أبى زياد الدمشقى وهو متروك . وضعفه علامة العصر الشيخ الالبانى فى السلسلة الضعيفه حديث رقم (٥٠٣) .

(٢) الإمام أحمد : هو الامام المشهور العابد الزاهد الفقيه أحمد بن حنبل الشيبانى أبو عبد الله ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفى سنة ٢٤١ هـ إمام أهل السنة والجماعة أبلىٰ بلاءً حسنا فى سبيل نصره الدين وعذب عذاباً شديداً فى قضية خلق القرآن التى قال بها المعتزلة فى عهد المأمون الخليفة العباسى له مصنفات منها كتاب المسند والزهد .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٩٩/٤ والنسائى ٨١/٧ وغيرهما .

(٤) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٥) سورة البقرة آية (١٠٢)

(٦) أى كيمياء تركيب الانسان وعناصره ويعتقدون بزعمهم أنهم سيتوصلون إلى سر الحياة ويستطيعون أن يحولوا الكهل إلى شاب .

وفى عقد [١] الرجل عن زوجته وهو سحر، وفى محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

وحد الساحر: القتل، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر [٢]. قال النبى ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»** [٣] فذكر منها السحر. والموبقات المهلكات فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة. وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: (**حد الساحر ضربه بالسيف**) [٤]. والصحيح أنه من قول جندب. وعن بجالة ابن عبدة أنه قال: أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. وعن وهب بن منبه قال: قرأت فى بعض الكتب: يقول الله عز وجل لا إله إلا أنا ليس منى من سحر ولا من سحر له، ولا من تكهن ولا من تكهن له، ولا من تطير ولا من تطير له. وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر**» [٥]. رواه الإمام أحمد فى مسنده. وعن ابن مسعود[٦] رضى الله عنه مرفوعاً قال: «**الرقى والتمائم والتولة شرك**» [٧]. التمائم : جمع تميمة، وهى خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك. والتولة بكسر التاء وفتح الواو: نوع السحر، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى قال الخطابى

---

(١) عقد الرجل عن زوجته أى ربطه (عدم انتصاب ذكره عند الجماع) .

(٢) مضارع الكفر : أى مساوى له .

(٣) سبق الإشارة إليه وهو صحيح .

(٤) حديث ضعيف رواه الترمذى ١٤٦٠/٤ والحاكم ٣٦٠/٤ وغيرهما وفيه اسماعيل بن مسلم وهو ضعيف .

(٥) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسنده ٣٩٩/٤ والحاكم ١٤٦/٤ وفيه أبو حرير قاضى سجستان وهو ضعيف .

(٦) ابن مسعود : هو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن الحارث ... بن هذيل حليف بنى زهرة أبو عبد الرحمن ممن شهد بدراً وسائر المشاهد كان من فقهاء الصحابة سكن الكوفة وولى فيها بيت المال مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ انظر المشاهير ص (١٠) .

(٧) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٣٨١/١ وابن ماجه برقم (٣٥٣٠) وصححه الالبانى .

رحمه الله: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن [1]، أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة، لأن النبى ﷺ كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما، فيقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**» [2] وبالله المستعان وعليه التكلان.

الكبيرة الرابعة : فى ترك الصلاة

قال الله تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [3].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخّروها عن أوقاتها. وقال سعيد بن المسيب [4] إمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر. ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء، ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس. فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى، وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه. وقال الله تعالى فى آية أخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [5] أى غافلون عنها، متهاونون بها. وقال سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: «**هو تأخير الوقت**» أى تأخير الصلاة عن وقتها، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل

---

(١) فقد ثبت فى الكتب الصحيحة أن الرقى بفاتحة الكتاب من أحسن رقى به وكذلك بآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ... ﴾ الآيات وكذلك المعوذتين وسورة الاخلاص فهذا أصح ما ورد فى الرقية المباحة.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٣٣٧١/٦.

(٣) سورة مريم آية (٥٩ – ٦٠).

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى القرشى كان مولده لسنتين مضتا من خلافة عمر وكان من سادات التابعين فقها وورعاً وعبادة وفضلا وزهادة وعلما توفى سنة ٩٣ هجرية انظر المشاهير /٦٣.

(٥) سورة الماعون آية (٤ – ٥).

وهو شدة العذاب. وقيل: هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلاَّ أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط. وقال الله تعالى فى أية أخرى:

﴿ يا أَيُّها الَّذين آمنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون ﴾ [1]

قال المفسرون : المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس. فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين. وهكذا قال النبى ﷺ : «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن نقصت فقد خاب وخسر**»[2].

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [3].

وقال النبى ﷺ : «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[4] وقال النبى ﷺ : «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**» [5] حديثان صحيحان.

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : «**من فاتته صلاة العصر حبط عمله**»[6] وفى السنن أن رسول الله ﷺ قال : «**من ترك الصلاة متعمداً فقد**

---

(١) سورة المنافقون آية (٩)

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى ٤١٣/٢ والنسائى ٢٣٢/١ وغيرهما وصححه الالبانى برقم (١٣٥٨)

(٣) سورة المدثر آية (٤٢ - ٤٨)

(٤) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٣٤٦/٥ وابن ماجه برقم (١٠٧٩) وصححه الحاكم ٧/١ .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ٨٢/١ وأحمد ٣٧٠/٣ وغيرهما

(٦) انظر صحيح البخارى ٥٥٣/٢

برئت منه ذمة الله» [1] وقال ﷺ **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»** [2] متفق عليه. وقال ﷺ : **«من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبىّ بن خلف»** [3] وقال عمر رضى الله عنه: أما أنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة.

قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة، لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فإن اشتغل بماله حشر مع قارون، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبىّ بن خلف تاجر الكفار بمكة. وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل»** [4].

وروى البيهقى بإسناده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى فى الإسلام؟ قال **« الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، والصلاة عماد الدين»** [5] ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم أما أنه لاحظَ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة. وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب [6] دماً . وقال عبد الله بن شقيق التابعى رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٢٣٨/٥ وغيره .

(٢) انظر صحيح البخارى (٢٥) ومسلم (٢٢) .

(٣) حديث ضعيف رواه أحمد ١٦٩/٢ والدارمى ١٧٢١/٢ وفيه عيسى بن هلال الصدفى وضعفه الذهبى .

(٤) سبق الإشارة إليه وهو صحيح .

(٥) حديث ضعيف رواه البيهقى فى الشعب ٢٨٠٧/٣ .

(٦) يثعب : أى يسيل وينزف .

وسئل عليّ رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى، فقال: من لم يصل فهو كافر. وقال ابن مسعود رضى الله عنه من لم يصل فلا دين له. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله تعالى وهو عليه غضبان. وقال رسول الله ﷺ : **«من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته - أى ما يفعل وما يصنع بحسناته - إذا كان مضيعاً للصلاة»** [١].

وقال ابن حزم [٢] : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها، وقتل مؤمن بغير حق. وقال ابراهيم النخعى [٣] : من ترك الصلاة فقد كفر، وقال أيوب السختيانى مثل ذلك. وقال عون بن عبد الله: إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شىء يسأل عنه، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر فى شىء من عمله بعد. وقال ﷺ : **«إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتنى. وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتنى»** [٤] وروى أبو داود [٥] فى سننه عن عبد الله بن

(١) حديث صحيح انظر الإحياء ١٤٧/١ .

(٢) ابن حزم : هو على بن أحمد بن سعيد أبو محمد الأندلس القرطبى فقيه أديب أصولى محدث حافظ متكلم مشارك فى التاريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر والطب والمنطق وغيرها أصله من فارس ولد بقرطبة له مصنفات كثيرة منها المحلى فى الفقه والأحكام فى الأصول والملل والنحل انظر الوفيات ٤٢٨/١ معجم الأدباء ٢٣٥/١٢ .

(٣) إبراهيم النخعى : هو إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران ولد سنة خمسين ومات سنة خمس وتسعين متواريا من الحجاج . انظر المشاهير /١٠١ .

(٤) وورد عن رسول الله ص فى حديث صحيح أنه قال « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر » والحديث صحيح رواه الترمذى ٤١٣/٢ وحسنه والنسائى فى سننه ٢٣٢/١ وابن أبى شيبة ٣٦١/٨ وغيرهم وصححه الالبانى فى السلسلة الصحيحة (١٣٥٨) .

(٤) حديث رواه الطيالسى (٥٨٥) ورواه العقيلى فى الضعفاء (١٤٥) وفيه الأحوص بن حكيم وهو ضعيف .

(٥) أبو داود : هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدى السجستانى رحل إلى البلاد وطوف وجمع وصنف وهو صاحب السنن المشهور ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وورعاً واتقانا انظر تهذيب التهذيب ١٦٩/٤ .

عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم - من تقدم قوماً وهم له كارهون ، ومن استعبد محرراً، ورجل أتى الصلاة دباراً»** (١) والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته. وجاء عنه ﷺ أنه قال: **«من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر»** (٢) فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين.

فصل : متى يؤمر الصبى بالصلاة

روى أبو داود فى السنن أن رسول الله ﷺ قال: **«مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»** (٣). وفى رواية **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليهاوهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع»** (٤).

قال الإمام أبو سليمان الخطابى (٥) رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها.

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعى (٦) رحمه الله تعالى يحتج به فى وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ، فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم تارك الصلاة، فقال مالك (٧)

---

(١) رواه أبو داود ٥٩٣ وابن ماجه ٩٧٠ وغيرهما والحديث جزءه الأول صحيح .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه الحاكم فى المستدرك ٢٧٥/١ والعقيلي فى الضعفاء (٢٩٥) وغيرهم وفيه حنش بن قيس الرحبى وهو متروك الحديث .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى ٤٠٧/٢ وأحمد فى مسنده ٢٠١/٣ وغيرهما .

(٤) حديث صحيح رواه الدارقطنى ٢٣٠/١ وأحمد ١٨٧/٢ .

(٥) أنظر ترجمته فى ابن كثير البداية والنهاية ٣٤٦/١١ .

(٦) الإمام الشافعى : هو أبو عبد الله محمد بن أدريس بن العباس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى الامام المشهور وإليه ينسب المذهب الشافعى له كتاب الأم والمسند وديوان فى الشعر .

(٧) الامام مالك : هو مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى المدنى إمام دار الهجرة أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المذهب المالكى ولد بالمدينة سنة ٩٣ للهجرة له : الموطأ وغريب القرآن توفى سنة ١٧٧ هـ بالمدينة المنورة . انظر الديباج ٢٧/ . ابن خلكان ٥٥٥/١ والاعلام ٨٢٤/٣ .

والشافعي وأحمد، رحمهم الله : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته. ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها، فقال ابراهيم النخعي وأيوب السختياني وعبد الله بن المبارك [1] وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه: هو كافر واستدلوا بقول النبي ﷺ : «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**» [2]، وبقوله ﷺ : «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» [3].

(١) هو عبد الله بن المبارك الكروزى مولى بنى حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الطبقة الثامنة له المصنفات الكثيرة توفى سنة ٢٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة أخرج له أصحاب الأصول الستة . انظر تقريب التهذيب ٤٤٥/١ ترجمة رقم ٥٨٣ .

(٢) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

فصل

وقد ورد في الحديث : «**إن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر، ويعطيه كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنة بغير حساب**» [1] ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث عند خروجه من القبر. **فأما اللاتى فى الدنيا: فالأولى** : ينزع البركة من عمره، **والثانية**: يمحى سيماء الصالحين من وجهه، **والثالثة** : كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، **والرابعة**: لا يرفع له دعاء إلى السماء، **والخامسة**: ليس له حظ فى دعاء الصالحين. **وأما اللاتى تصيبه عند الموت** فإنه يموت ذليلاً، **والثانية** : يموت جائعاً، **والثالثة**: يموت عطشاناً ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه، **وأما اللاتى تصيبه فى قبره، فالأولى**: يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه، **والثانية** : يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً، **والثالثة** : يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء، واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح. فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعاً، فلا يزال فى الأرض معذباً إلى يوم القيامة. **وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة** : فشدة الحساب، وسخط الرب، ودخول النار. وفى رواية: فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات. السطر الأول: يا مضيع حق الله ، السطر الثانى : يا مخصوصاً بغضب الله، السطر الثالث: كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم من رحمة الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما

---

(١) حديث موضوع عزاه السيوطى إلى ابن النجار أفاد الذهبى فى الميزان أنه حديث باطل لا أصل له . انظر الميزان ٦٥٣/٣.

قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به إلى النار، فيقول: يا رب لماذا؟ فيقول الله تعالى: لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذباً.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : « **اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً** » ثم قال ﷺ : **أتدرون من الشقى المحروم؟** قالوا : من هو يا رسول الله؟ قال: «**تارك الصلاة**» [1].

ورُوى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة، وأن فى جهنم وادياً يقال له «الملحم» فيه حيات، كل حية ثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

حكاية روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت يارسول الله انى أذنبت ذنباً عظيماً وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب علىَّ : فقال لها موسى عليه السلام. وما ذنبك؟ قالت : يانبى الله إنى زنيت وولدت ولداً فقتلته فقال لها موسى عليه السلام: اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى، أما وجدت شراً منها؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامداً متعمداً

حكاية أخرى عن بعض السلف أنه أتى أختاً له ماتت، فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به احد حتى انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس، فوجد القبر يشعل عليها ناراً. فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزيناً فقال؛ يا أماه اخبرينى عن أختى وما كانت تعمل؟ قالت : وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً. قال: فبكت وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها. فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فيكف حال من لايصلى؟ فنسأل الله تعالى

(١) انظر الزواجر للهيثمى ٢٩٦/١.

أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها إنه جواد كريم.

فصل : في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها، وقد روى في تفسير قول الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1] إنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له : **ارجع فصل فإنك لم تصل**. فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام ثم قال: **ارجع فصل فإنك لم تصل**، فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام، وقال : **ارجع فصل فإنك لم تصل** ثلاث مرات. فقال فى الثالثة: والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمنى. فقال ﷺ : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، وافعل ذلك فى صلاتك كلها**» [2]. وروى الإمام أحمد رضى الله عنه عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود** » [3] وراه أبو داود أيضاً والترمذى، وقال : حديث حسن صحيح. وفى رواية أخرى: «حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود».

وهذا نص عن النبى ﷺ فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان، فصلاته باطلة، وهذا فى صلاة الفرض وكذا الطمأنينه أن يستقر كل عضو فى موضعه.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: « **أشد الناس سرقة الذى يسرق من صلاته**» قيل وكيف يسرق من صلاته؟ قال« **لا يتم ركوعها ولا سجردها ولا القرءاة**

---

(١) سورة الماعون آية (٤ ، ٥) .

(٢) انظر صحيح البخارى ٦٦٦٧/١١ ومسلم (٣٩٧) .

(٣) حديث صحيح رواه أبى داود فى سننه .

فيها»[1] وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوه وسجوده»** [2].

وقال ﷺ : **« تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»** [3].

وعن أبى موسى قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس، فدخل رجل فقام يصلى، فجعل يركع وينقر سجوده، فقال رسول الله ﷺ : **«أترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم! »** [4] أخرجه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من مصل إلاّ وملك عن يمينه وملك عن يساره، فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه»** [5].

وروى البيهقى بسنده عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: **«من توضأ أحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها. وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القرءاة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتنى، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة، فاغلقت دونها أبواب السماء، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها »** [6].

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٣١٠/٥ والحاكم ٢٢٩/١ وغيرهما .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٥٢٥/٢ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم فيى صحيحه ٦٢٢/١ .

(٤) حديث ضعيف رواه البيهقى ٨٩/٢ وابن خزيمة ٦٦٥/١ . وفيه أبو صالح الاشعرى وهو لين الحديث .

(٥) حديث ضعيف رواه الدارقطنى والأصبهانى فى الترغيب (١٩١٤) وفيه أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد العزيز وهو ضعيف .

(٦) سبق الاشارة إليه وهو ضعيف .

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **الصلاة مكيال، فمن وفى وفيّ له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين**»[1] قال الله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [2] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره، نعوذ بالله منه» .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «**إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إليّ أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبة والأنف والكفين والركبتين، وصدور القدمين، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً** » [3] **فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته**» .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان [4] رضى الله عنه أنه رأى رجلاً يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة ما صليت ولو مت وأن تصلى هذه الصلاة، مت على غير فطرة محمد ﷺ.

وفى رواية أبى داود أنه قال: منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت منذ أربعين سنة شيئاً، ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم!.

وكان الحسن البصرى [5] يقول: يا ابن آدم أىّ شئ يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول

(١) حديث ضعيف رواه عبد الله بن المبارك فى الزهد (١٩٢) .

(٢) سورة المطففين آية (١) .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٨٠٩/٢ ومسلم (٤٩٠) .

(٤) هو حذيفة بن اليمان العبسى أبو عبد الله صحابى مشهور وأمين سر رسول الله ص فى المنافقين . من المهاجرين توفى بعد قتل عثمان بن عفان باربعين ليلة أنظر المشاهير /٤٣ .

(٥) الحسن البصرى : هو الحسن بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانين سنه أنظر المشاهير /٨٨ .

النبى ﷺ: «**أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فان صلحت فقد أفلح وانجح، وأن فسدت فقد خاب وخسر**» [1] فان انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى: « **انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله كذلك** ».

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق.

(**فصل**) فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعة) مع القدرة .قال الله تعالى :

﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾ [2].

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود. قال ابراهيم التيمى: يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة، وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حى على الصلاة حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن الجماعة. فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على إتيانها؟ وأما من السنة فما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فى الجماعة، فأحرق بيوتهم عليهم بالنار**» [3] ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم إلاّ على ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع.

وفى صحيح مسلم أن رجلاً أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى ﷺ أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص

---

(١) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٢) سورة القلم آية (٤٢ ، ٤٣) .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٤٤/٢ ومسلم (٦٥١) .

له فلما ولى دعاه فقال «**هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب**»[1] ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ **فقال: يا** رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار – أي بعيد الدار – ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال «**هل تسمع النداء؟» قال، نعم، قال «فأجب فإني لا أجد لك رخصة**» [2].

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليماً لا عذر له؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما: عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع؟ فقال: إن مات على هذا فهو في النار.

وقال أبو هريرة [3]رضي الله عنه لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، قيل وما العذر يا رسول الله؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى** » [4] يعني في بيته.

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها**

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٦٥٣٤/١ .

(٢) حديث صحيح ورواه أبو داود (٥٥٢) وغيره .

(٣) أبو هريرة : هو عبد شمس بن عامر وسمي في الاسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة تصاحبه فكنى بها . قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة روى كثير من أحاديث رسول الله ص وعن ابن شوذب قال لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود المهبط منها إلى الجنة أو النار .

توفي أبو هريرة بالمدينة ويقال بالعقيق سنة سبع وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين من الهجرة في آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة . انظر صفه الصفوة لابن الجوزي ٢٩١/١ .

(٤) حديث ضعيف رواه أبو داود (٥٥١) والدارقطني ٤٢٠/١ وغيرهما وفيه أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي ضعفوه لكثرة تدليسه .

عليها ساخط، ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب»[1].

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد. قيل ومن جار المسجد؟ قال: من سمع الأذان.

وروى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً - يعنى يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم. ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى [2] بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجىء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة.

وكان الربيع بين خيثم قد سقط شقه فى الفالج [3]، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور. فيقول: هو كما تقولون، ولكن أسمع المؤذن يقول: حى على الصلاة حى على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل.

وقال حاتم الأصم : فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده، ولو مات ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف انسان، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا!.

وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه وقال ابن عمر خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة. أشهدكم ان حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه، والحائط: البستان فيه النخل.

---

(١) حديث ضعيف جداً رواه الترمذى ٣٥٨/٢ وضعفه .

(٢) يهادى : أى يتمايل من شدة التعب أو المرض .

(٣) الفالج : شلل يصيب أحد شقى الجسم طولا .

(**فصل**) : ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد، فإن النبى ﷺ قال: « **أن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، يعنى العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواً** » [١].

وقال ابن عمر : كنا إذا تخلف منا إنسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق.

(**حكاية**) عن عبيد الله بن عمر القواريرى رضى الله عنه قال: لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط، فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد، فرجعت إلى بيتى وقلت: قد ورد فى الحديث: « إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » [٢]فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت، فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم، فالتفت إلىَّ أحدهم فقال لى: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا: قلت: ولم؟ قال: لأنّا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك. فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك، فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم.

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [٤]

فسماهم المشركين. وقال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٦٥٧/٢ ومسلم ٦٥١/١ .
(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٤٥/٢ ومسلم ٦٥٠/١ .
(٣) سورة آل عمران آية (١٨) .
(٤) سورة فصلت آية (٦ ، ٧) .

يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (١)

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ما من صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره. كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**». قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «**ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «**ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» (٢).

وقال ﷺ : « **أول ثلاثة يدخلون النار - أمير مسلط، وذو ثروة من مال لايؤدى حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور** » (٣).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال ابن عباس: سأتلو

---

(١) سورة التوبة (٣٤ ، ٣٥) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٩٨٧/٢ .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه أحمد فى مسنده ٤٢٥/٢ وغيره . وفيه عامر العقيلى وأبوه كلاهما لا يعرف .

عليك بذلك قرآنا، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُول ربِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ (١).

أى أؤدى الزكاة ﴿وأكن من الصالحين﴾ أى أحج. قيل له: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة، قيل فما يوجب الحج؟ قال : الزاد والراحلة

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح إذا كان معداً للاستعمال، فإن كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة.

وتجب فى قيمة عروض التجارة، وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ يلهزمتيه** (أى بشدقيه) **فيقول: أنا مالك أنا كنزك»** (٢). ثم تلا هذه الآية.

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) أخرجه البخارى.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله تعالى فى مانعى الزكاة: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (٤) قال: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته.

فإن قيل: لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكى؟ قيل : لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه

---

(١) سورة المنافقون آية (١٠) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ١٤٠٣/٣ .

(٣) سورة آل عمران آية (١٨٠) .

(٤) سورة التوبة آية (٣٥) .

ولّى بظهره فعوقب بكيِ هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ : «**خمس بخمس**» قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «**ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات واخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**» [1].

(**موعظة**) قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم إنما فى غد ثبورهم ما نفعهم ما جمعوا. إذا جاء محذورهم ﴿ **يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ﴾. فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم ﴿ **يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ﴾ أخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل فى بودقة ليحمى ليقوى العذاب. فصفح صفائح كي يعم الكى الأهاب [2]، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب. يسعى الى مكان لا مع قوم يسعى نورهم. ثم ﴿ **يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ﴾. اذا لقيهم الفقير لقى الأذى. فان طلب منهم شيئاً طار منهم لهب الغضب كالجذا [3]. فان لطفوا به قالوا أعنتكم ذا. وسؤال هذا لذا. ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا. ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا. واعجباً كم يلقاهم من غم اذا ضمتهم قبورهم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. سيأخذها الوارث منهم من غير تعب. ويسأل عنها الجامع من أى اكتسب ما اكتسب. إلا أن الشوك له وللوارث الرطب. اين حرص الجامعيين، أين عقولهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. لو رأيتهم فى طبقات النار. يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار. وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الأيسار لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم. وقد ضج صبورهم

---

(١) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الكبير ١٠٩٩٢/١١ وصححه الالبانى .

(٢) الإهاب : أى الجلد .

(٣) كالجذا : أى كاللهب .

﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾[1]. كما كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع. كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع. فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع. فما هى عصا موسى ولا طورهم. ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾.

(حكاية) : روى عن محمد بن يوسف الفريابى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى فى زيارة ابن سنان رحمه الله، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية، فقلنا: أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه! قال: بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب، فقلنا له: هل أطلعك الله الغيب؟ قال: لا، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره، إذ صوت من قبره يقول: آه أقعدونى وحيداً أقاسى العذاب، قد كنت أصلى، قد كنت أصوم. قال: فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً وفى عنقه طوق من نار، فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعى ويدى، ثم أخرج إلينا يده فإذا هى سوداء محترقة. قال فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا: فما كان أخوك يعمل فى الدنيا؟ قال: كان لا يؤدى الزكاة من ماله، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [2].

وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة. قال: ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل، وقلنا له: يموت

(١) سورة التوبة آية (٣٥) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٨٠) .

اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك! فقال: أولئك لاشك انهم فى النار، وانما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا. قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (١)

فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم.

الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر :

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٢).

وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : **«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»** (٣).

وقال ﷺ : **«من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وان صامه»** (٤)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما **«عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان»** فمن ترك واحدة منهن فهو كافر. نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٠٤) .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٣ - ١٨٤) .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٨/١ ومسلم ١٦/١ .

(٤) حديث ضعيف رواه البخارى معلقا بصيغة التمريض ١٩٠/٤ .

الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه :

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [1].

وقال النبى ﷺ : «**من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً**» [2]. وذلك لأن الله تعالى يقول :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لقد هممت ان أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة [3] ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار. قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى : ﴿**وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق**﴾ أى أؤدى الزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [4] أى أحج، ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون**﴾ قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتى درهم وقيمتها من الذهب، قيل فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة. وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال: مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٢) حديث ضعيف رواه الترمذى ٨١٢/٣ وغيره وفيه هلال بن عبد الله وهو مجهول .

(٣) الجدة : أى السبيل أو الطريق .

(٤) سورة المنافقون آية (١٠) .

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين

قال الله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ أى برا بهما وشفقة وعطفاً عليهما. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [(١)] : أى لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا. وينبغى أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما.

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أى ليناً لطيفاً. ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وقال الله تعالى :

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [(٢)]

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها **(إحداهما)** قول الله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [(٣)]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. **(الثانية)** قول الله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾[(٤)] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه. **(الثالثة)** قول الله تعالى ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [(٥)] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. ولذا قال النبى ﷺ : «**رضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين**» [(٦)].

---

(١) سورة الإسراء آية (٢٣ ، ٢٤) .

(٢) سورة لقمان آية (١٤) .

(٣) سورة المائدة آية ٩٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٤٣ .

(٥) سورة لقمان آية ١٤ .

(٦) حديث صحيح رواه الترمذى ١٨٩٩/٤ وغيره وصححه الحاكم ١٥١/٤ .

وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبى ﷺ فى الجهاد معه، فقال النبى ﷺ: **«أحي والدك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد»**[1] مخرج فى الصحيحين، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد!

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين»** [2]. فانظر كيف قرن الاساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك وفى الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر»** [3]. وعنه ﷺ قال: **«لو علم الله شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار»** [4]. وقال ﷺ: **«لعن الله العاق لوالديه»**[5]. وقال ﷺ: **«لعن الله من سب أباه، لعن الله من سب أمه»** [6]. وقال ﷺ **«كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه»** [7] يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال كعب الأحبار رحمه الله، إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً. ومن برهما ان ينفق عليهما إذا احتاجا. فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ. فقال: يا رسول الله ان أبى يريد أن يجتاح مالى. فقال ﷺ: **«أنت ومالك لأبيك»** [8] وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٣٠٠٤/٦ ومسلم ٢٥٤٩/٤ .

(٢) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ١٣٤/٢ وغيره وصححه الألبانى (انظر السلسلة الصحيحة ٦٧٣) .

(٤) حديث موضوع رواه الديلمى فى الفردوس ٥١٠١/٣ وفيه عيسى بن عبد الله العلوى وهو متروك الحديث .

(٥) حديث صحيح رواه الحاكم ١٥٣/٤ وحسنه الذهبى .

(٦) حديث صحيح رواه مسلم ١٩٧٨/٣ .

(٧) حديث صحيح رواه البيهقى ٧٨٨٩/٦ وغيره وصححه الحاكم ١٥٦/٤ .

(٨) حديث صحيح رواه ابن ماجه ٢٢٩٠/٢ وغيره .

عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما، وإذا أمره بأمر. لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمى الاعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا فى الجهاد، فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره.

وفى الصحيحين «**أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس منى بحسن الصحبة؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أمك. قال : ثم من؟ قال: أبوك، ثم الأقرب فالأقرب**» [1]. فحض على بر الأم ثلاث مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة. فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم ظلماً، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا**» [2]. وقال ﷺ : «الجنة تحت اقدام الأمهات»، وجاء رجل إلى أبى الدرداء [3] رضى الله عنه فقال: يا أبا

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٥٩٧١/١٠ ومسلم ٢٥٤٨/٤ .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه الحاكم فى مستدركه ٣٧/٢ وفيه ابراهيم بن خثيم وهو ضعيف .

(٣) أبو الدرداء هو عويمر بن زيد وقيل ابن عامر وفى اسمه خلاف صحابى مشهور شهد المشاهد ويختلفون هل شهد أحد أم لا وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق عن محمد بن سعد قال : أخبرنا الواقدى توفى أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان وله عقب بالشام انظر صفة الصفوة ٢٦٢/١ .

الدرداء إني تزوجت امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها. فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**» (١). وقال ﷺ «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**» (٢) وقال ﷺ : «**الخالة بمنزلة الأم**» (٣) اى في البر والإكرام والصلة والإحسان. وعن وهب بن منبه(٤) قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه يا موسى وقر والديك، فإن من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولداً يعقه.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة إن من يضرب أباه يقتل. وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وأديت الزكاة، وحججت البيت، فماذا لي؟ فقال رسول الله ﷺ : «**من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه**» (٥). وقال ﷺ : «**لعن الله العاق والديه**» (٦)، وجاء عن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة اسرى بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء» قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا».

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ١٩٦/٥ وغيره وصححه الألباني.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٢٥٨/٢ وغيره.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ٢٦٩٩/٥ وغيره.

(٤) هو وهب بن منبه أبو عبد الله زاهد عابد فقيه عالم بأخبار بني اسرائيل اسند وهب ابن منبه عن جابر بن عبد الله والنعمان بن بشير وابن عباس وخلق كثير يطول شرحهم وقد روى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة في آخرين وروى خلق كثير من كبار التابعين كطاوس وروى عنه من التابعين جماعة منهم عمرو بن دينار وأبان ابن أبي عياش وموسى بن عقبه في آخرين . قال الواقدي مات وهب بن منبه في صنعاء سنة عشر ومائة وقيل سنة أربع عشرة انظر صفة الصفوه ٥٠٢/١ .

(٥) حديث صحيح رواه الأصبهاني في الترغيب ٢٢٠٧/٣ وغيره.

(٦) حديث صحيح سبق الاشارة إليه.

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض. ويروى أنه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزانى والعاق لوالديه.

وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شىء، وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان فى صبى لهما فقال الرجل: يا رسول الله ولدى خرج من صلبى، وقالت المرأة: يا رسول الله حمله خفاً ووضعه شهوة وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه.

(**موعظة**) : أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين [1]، تطلب الجنة بزعمك، وهى تحت أقدام أمك. حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج [2]. وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج [3]، وأرضعتك من ثديها لبناً، وأطارت لأجلك وسناً [4]، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وصيرت حجرها لك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً [5]، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً. فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهى جائعة ورويت وهى قانعة. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها وما لها سواك نصير، هذا ومولاك

---

(١) الشين : أى القبح .

(٢) حجج : أى أعوام .

(٣) المهج : أى الروح .

(٤) الوسن : أى النعاس .

(٥) رفداً : أى صلة .

قد نهاك عن التأفف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد﴾.

لأمك حق لو علمت كثير — كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي — لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة — فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها — وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها — ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت واعطتك قوتها — حناناً واشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذى عقل ويتبع الهوى — وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها — فأنت لما تدعو إليه فقير

حكى أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : إن زوجي علقمة في النزع، فأردت أن أعلمك يارسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ وسلم عماراً وصهيباً وبلالاً وقال: امضوا اليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجوده في النزع، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله)، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه انه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقال النبي ﷺ : هل من أبويه أحد حي؟ قيل: يا رسول الله أم كبيرة السن، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها ان قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى في المنزل حتى يأتيك. قال: فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه. فتوكأت وقامت على عصا، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها: يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة، كثير الصيام كثير الصدقة. قال رسول الله ﷺ فما حالك؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطة.

قال: ولم؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر عليّ زوجته ويعصيني. فقال رسول الله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة. ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لي حطباً كثيراً. قالت يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي. قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله إني اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال رسول الله ﷺ: انطلق يابلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني. فانطلق فسمع علقة من داخل الدار يقول: (لا إله إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه. ثم مات علقمه من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره وقال: « **يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً الا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها** »[1]. فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وأن يجنبنا سخطه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [2] أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى

---

(١) حديث ضعيف جداً رواه أحمد في مسنده ٣٨٢/٤ وابن الجوزي في الموضوعات ٨٧/٣ . وفيه فائد بن عبد الرحمن وهو متروك .

(٢) سورة النساء آية (١) .

أَبْصَارَهُم﴾ [1] . وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [2] وقال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أى بالقرآن ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [3].

أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد.

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» [4]. فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد، محروم عن دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة** » [5] وإن كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبى ﷺ «**صلوا أرحامكم ولو بالسلام**» [6].

وقال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**» [7] وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى من إذا قطعت رحمه وصلها**» [8].

---

(١) سورة محمد آية (٢٢ ، ٢٣) .

(٢) سورة الرعد آية (٢٠ ، ٢١) .

(٣) سورة البقرة آية (٢٦ ، ٢٧) .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٥٩٨٤/١٠ ومسلم ٢٥٥٦/٤ .

(٥) حديث ضعيف رواه الطبرانى انظر الترغيب ٣٣/٢ وفيه عبد الله بن عامر الأسلمى ضعيف .

(٦) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ٧٩٧٢/٦ وغيره وصححه الألبانى انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٧٧) .

(٧) حديث صحيح رواه البخارى ١٦٣٨/١٠ وغيره .

(٨) حديث صحيح رواه البخارى ٥٩٩١/١٠ وغيره .

وقال ﷺ : يقول الله تعالى «**أنا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**» [1]. وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه قال لولده: يا بنى لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع.

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال: أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها. فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخى فقال إنى جلست إلى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال: أحرج كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فقالت له عمته: ارجع إلى أبى هريرة واسأله لم ذلك فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم؟ فقال أبو هريرة: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**» [2].
وحكى أن رجلاً من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوماً بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله علم أنه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له: إذا كان نصف الليل فأت زمزم وانظر فيها، وناد يا فلان باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة، فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : (إنا لله وإنا إليه راجعون). نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيه الليل، وناد يا فلان فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان، فأجابه فقال : أين ذهبى؟ قال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم ائتمن عليه ولدى، فأتهم واحفر هناك تجده. فقال له: ما الذى

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد (٥٣) وأصله فى الصحيحين .
(٢) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ٧٩٦٦/٦ .

أنزلك ههنا وكنا نظن بك الخير؟ فقال: كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه بسببها وأنزلنى الله هذه المنزلة.[1]

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : «**لا يدخل الجنة قاطع**»[2] يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب، فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم.

الكبيرة العاشرة : الزنا :

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[3] وقال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ ﴾[4]

وقال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.[5]

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا إذا كان عزبين غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا. كذلك ثبت فى السنة عن النبى ﷺ فإن لم يستوف القصاص منهما فى الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان فى النار بسياط من نار.

---

(١) مما لا شك فيه أن هذه الحكاية باطلة وغير صادقة وذلك لأنها منافية للعقيدة الاسلامية السليمة وقد صدر المصنف هذه الحكاية بصيغة التمريض فدل على بطلانها .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) سورة الإسراء آية (٣٢) .

(٤) سورة الفرقان آية (٦٨ – ٧٠) .

(٥) سورة النور آية (٢) .

كما ورد أن الزبور مكتوباً: إن الزناة معلقون بفروجهم فى النار يضربون عليها بسياط من حديد، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه؟!

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»** [1]. وقال ﷺ : **«إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان»** [2].

وقال ﷺ : **«من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»** [3] وفى الحديث النبوى قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»** [4].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله، أى الذى أعظم عند الله تعالى؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**). فقلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟ قال: (**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**). قلت ثم أى؟ قال(**أن تزنى بحليلة جارك**) [5] - يعنى زوجة جارك - فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ ﴾ [6].

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٠/٢٤٧٥ ومسلم ١/٥٧ .

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود ٤/٤٦٩٠ وغيره وصححه الحاكم .

(٣) حديث ضعيف رواه الحاكم ١/٢٢ وفيه عبد الله بن الوليد وهو لين الحديث .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ١/١٠٧ .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٨/٤٤٧٧ .

(٦) سورة الفرقان آية (٦٨) .

فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار باشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل إلا بالحق، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين.

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات. قال: « **فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أى صاحوا من شدة حره - فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الزناة والزوانى** »[1] يعنى من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة. نسأل الله العفو والعافية.

وعن عطاء فى تفسير قول الله عن جهنم ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾ [2] : قال: أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم. وعن مكحول الدمشقى قال: يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة، فيقال لهم هذه ريح فروج الزناة. وقال ابن زيد أحد أئمة التفسير: إنه ليوذى أهل النار ريح فروج الزناة. وفى العشر الآيات التى كتبها الله لموسى عليه السلام: (**ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهي**)، فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره؟!

وجاء عن النبى ﷺ (**وأن إبليس يبث جنوده فى الأرض ويقول لهم: أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجىء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها، ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يصالحه، ثم يجىء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول: إبليس. نعم ما فعلت**

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٧٠٤٧/١٢ .

(٢) سورة الحجر آية (٤٤) .

فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه »[1] نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان، فإن تاب رده عليه** »[2] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: « **يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار** »[3]. وعنه ﷺ أنه قال: «**من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجرى في النار من فروج المومسات**»[4] يعنى الزانيات، يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار، ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر.

وقال رسول الله ﷺ « **ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى فرج لا يحل له** »[5] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : «**في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه. وإن في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة رواية سم، ثم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد**»[6].

وورد أيضاً: أن من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر

---

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان (٦٣) والحاكم ٣٥٠/٤ وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (١٢٨٠).

(٢) حديث ضعيف جداً رواه البيهقى فى الشعب ٥٣٦٦/٤ وغيره وفيه عمرو بن عبد الغفار الفقيمى وهو متروك الحديث .

(٣) حديث موضوع رواه ابن عدى فى الكامل ٣١٧/٦ وابن الجوزى فى الموضوعات ١٠٧/٣ . قال ابن حبان فى المجروحين ٩٨/١ ولا أصل لهذا الحديث .

(٤) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسنده ٣٩٩/٤ وغيره وسنده ضعيف .

(٥) حديث ضعيف رواه ابن الجوزى فى ذم الهوى (١٥٤) وضعفه الألبانى .

(٦) انظر الزواجر للهيثمى ٣٠٠/٢ .

نصف عذاب هذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علمه، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: أنت حرام على الديوث. وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله ويسكت ولا يغار.

وورد أيضاً أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فإن قبلها قرضت شفتاه فى النار، فإن زنى بها نصقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت : أنا للحرام ركبت، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب، فيقع لحم وجهه فيكابر، ويقول: ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه: أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا للحرام مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت، ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت، ويقول الآخر: وأنا كتبت ويقول الله تعالى: وأنا اطلعت وسترت. ثم يقول الله تعالى: « يا ملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه، فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى » وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح الحاكم: «**من وقع على ذات محرم فاقتلوه**» (٢)، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله. فنسأل الله المنان أن يغفر لنا ذنبونا إنه جوّاد كريم.

---

(١) سورة النور آية (٢٤) .

(٢) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسنده ٣٠٠/٢ والترمذى ١٤٦٢/٤ .

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط :

قد قص الله عز وجل علينا فى كتابه العزيز قصة قوم لوط فى غير موضع من ذلك قول الله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ : أى من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿مَّنضُودٍ﴾ أى يتلو بعضه بعضاً، ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أى فى خزائنه التى لا يتصرف فى شيء منها إلا بإذنه، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [1] ما هى من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

ولهذا قال النبى ﷺ : «**أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط**» [2] ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً فقال «**لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط**» [3]. وقال عليه الصلاة والسلام: (**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**) [4] قال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر أعلى بناء فى القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله تعالى:

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [5] أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام.

---

(١) سورة هود آية (٨٢ ، ٨٣) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٣٨٢/٣ وصححه الحاكم ٣٥٧/٤ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ١٢٧/١ وأبو نعيم فى الحلية ٢٣٢/٩ وصححه الحاكم ٣٥٦/٤ .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ٣٠٠/١ والدارقطنى ١٢٤/٣ باسناد صحيح .

(٥) سورة الشعراء (١٦٥ ، ١٦٦) .

وقال الله تعالى فى آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام:

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[1].

وكان اسم قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله سبحانه فى كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين فى إدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط - تصفيف الشعر، وحل الأزرار، ورمى البندق، والحذف بالحصى، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وستزيد عليها هذه الأمة مساحة النساء النساء.

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**سحاق النساء بينهن زنا**» [2]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله تعالى**» [3] قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، والذى يأتى البهيمة، والذى يأتى الذكر يعنى اللواط**» وروى أنه « **إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل**» [4].

---

(١) سورة الأنبياء (٧٤) .

(٢) حديث ضعيف رواه أبو يعلى ٧٤٩١/١٣ وغيره ففيه انقطاع .

(٣) حديث ضعيف رواه ابن عدى فى الكامل ٢٢٨/٦ وفيه محمد بن سلام الخزاعى وهو ضعيف .

(٤) حديث موضوع رواه الشوكانى فى الفوائد المجموعة وأفاد بوضعه .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال « **سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به - يعنى اللواط، وناكح البهيمة وناكح المرأة فى دبرها، وناكح الأم وابنتها، وناكح يده والزانى بحليلة جاره والمؤذى لجاره حتى يلعنه إلا أن يتوبوا** » [1].

وروى أن قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون فى الدنيا بمذاكيرهم. وروى أن من أعمال قوم لوط : اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بل مئزر، ونقص الكيل والميزان. ويل لمن فعلها.

وفى الأثر : من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر. وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ فى قبره خنزيراً.

وقال ﷺ « **لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة فى دبرها** » [2]، وقال أبو سعيد الصعلوكى: سيكون فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، لما صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**زنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل الخطى، وزنا الأذن الاستماع، والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك ويكذبه**» [3]. ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء. وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه. وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد. وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد فى

(١) حديث ضعيف رواه الآجرى فى ذم اللواط (٥٣) وغيره وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى ١١٦٥/٣ وابن أبى شيبة ٣٦٣/٣ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٢٤٣/١١ ومسلم ٢٦٥٧/٤ .

بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة لأن النبى ﷺ قال : **«ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»** [1]. وفى المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم، وإنه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن فى حق النساء، ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل فى حق المرأة، فهو بالتحريم أولى. وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم «الأنتان» لأنهم مستقذرون شرعاً. وسواء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره. ودخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال: اخرجوه عنى اخرجوه فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً، وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطاناً.

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبى حسن فقال الإمام ما هذا منك؟ قال ابن أختى. قال : لا تجىء به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً.

وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبى ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبى لله خلف ظهره وقال: **« إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر »** [2] وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا، وفى الحديث : النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة.

---

(١) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الكبير ٧٨٣٠/٨ .

(٢) حديث موضوع انظر تنزيه الشريعة ٢١٦/٢ والسلسلة الضعيفة للألبانى (٣١٣) .

(**فصل**) فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً: عن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه كتب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض النواحى رجلاً ينكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم، أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر إليه أن احرقه بالنار فأحرقه خالد رضى الله عنه.

وقال على رضى الله عنه : من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً فى قبره إلى يوم القيامة.

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم، ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر فى سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه، فانقلبت النار صبياً وانقلب الرجل ناراً فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يا رب ردهما إلى حالهما فى الدنيا لأسألهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبى ، فقال لهما عيس عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل : يا روح الله إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبى صير ناراً يحرقنى مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة. نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى.

(**فصل**) ويلتحق باللواط إتيان المرأة فى دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله، قال الله عز وجل : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (١) أى كيف شئتم مقبلين ومدبرين فى صمام واحد أى موضع واحد. وسبب نزول هذه الآية أن اليهود فى زمن النبى ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ مجيبة أو

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢٣) .

غير مجيبة غير أن ذلك فى صمام واحد أخرجه مسلم.

وفى رواية : « **اتقوا الدبر والحيضة** » [1] وقوله فى صمام واحد أى فى موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أى موضع مزرع الولد، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر. وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها**» [2].

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبىٰ ﷺ قال: «**من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد**» [3]. فمن جامع امرأته وهى حائض أو جامعها فى دبرها فهو ملعون وداخل فى هذا الوعيد الشديد، وكذا إذا أتى كاهناً. وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشىء المسروق ويتكم على الأمور المغيبات فسأله عن شىء منها فصدقه.

وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصى، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم، ولذلك قال أبو الدرداء: (كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك) وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك. ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا. ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله، والعافية فيما بقى من عمره. اللهم إنّا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين.

الكبيرة الثانية عشر : الربــا

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٤٤٤/٢ وأبو يعلى ٦٤٦٢/١١ وغيرهما .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٤٤٤/٢ .

(٣) حديث صحيح رواه البيهقى ١٩٨/٧ وغيره .

تُفْلِحُونَ﴾ (١)، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٢) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ذَلِكَ﴾ أى ذلك الذى أصابهم :

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا ﴾.

أى حلالاً فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين. إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام فى الدنيا أرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرون.

وقال قتادة : إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف. وعن أبى سعيد الخدرى (٣) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً قال فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون، فيردونهم مقبلين ومدبرين. فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة. قال ﷺ : «فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس»** (٤).

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٠) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٥) .

(٣) أبو سعيد الخدرى : هو سعد بن مالك بن سنان : استصغر يوم أحد فرد ثم شهد الخندق وما بعدها رضى الله عنه . انظر صفة الصفوة لابن الجوزى ١/٣٠٥ .

(٤) حديث ضعيف جداً رواه الطبرى فى التفسير ١٠/١٥ وغيره وفيه أبو هارون عمارة بن جوين العبدى وهو متروك الحديث .

وفى رواية قال: «**لما عرض بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعدا وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا** » [1].

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله بهلاكها. وعن عمر مرفوعاً: «**إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة** [2]**، وتتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم**» [3].

وقال ﷺ: «**ما ظهر فى قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنوب، ولا ظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر**».

وجاء فى حديث فيه طول: أن آكل الربا يعذب من حيث يموت إلى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم، ويلقم الحجارة، وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المشقة فيه، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذى جمعه فى الدنيا. هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له [4]. كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا** » [5]

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت

---

(١) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٢٥٣/٢ وغيره وفيه على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٢) العينة : إحدى صور البيع المحرم وهى من الربا .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٢٨/٢ والبيهقى فى السنن ٣١٦/٥ وغيرهما وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (١١) .

(٤) انظر صحيح البخارى ٧٠٤٧/١٢ .

(٥) حديث ضعيف جداً سبق الاشارة إليه .

فيأخذونها يوم الأحد. فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير. وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين. قال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبياً، ولو أوا الأمر عياناً كان أهون عليهم وقال ﷺ : « **الربا إثنان وسبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وأن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم** » [1] فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا.

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: «**الدرهم الذى يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى الإسلام**» [2]، وعنه ﷺ قال: «**الربا سبعون حوباً أهونها كوقع الرجل على أمه وفى رواية أهونها كالذى ينكح أمه**» [3] والحوب: الإثم.

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: الزائد والمستزيد فى النار - يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء نسأل الله العافية.

(**فصل**) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربه. وقال الحسن رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت. وهذا من قوله ﷺ : «**كل قرض جر نفعاً فهو ربا** » [4] وقال ابن مسعود أيضاً: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهى سحت، وتصديقه من قوله ﷺ : «**من شفع لرجل شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا**» [5] أخره أبو داود. فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة.

---

(١) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الأوسط ١/١٤٣/١ وغيره وصححه الالبانى .

(٢) حديث صحيح رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (١٧٥) وغيره بسند صحيح .

(٣) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ٥٥٢٠/٤ وغيره باسناد صحيح .

(٤) حديث ضعيف الاسناد انظر الإرواء (١٣٩٨) .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٦١/٥ وغيره بسند صحيح .

الكبيرة الثالثة عشرة : آكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[2].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى المعراج : **«فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم. فقلت : يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً »** [3]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً »** [4] فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[5].

وقال السدى رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرفه إنه آكل مال اليتيم.

قال العلماء : فكل ولى ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت

---

(١) سورة النساء آية (١٠) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٥٢) وسورة الإسراء آية (٣٤) .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه الطبرانى ١٥/١٥ - ١١ وغيره وفيه أبوهارون العنبرى وهو متروك .

(٤) حديث موضوع رواه ابن حبان (٢٥٨٠) والطبرانى وغيرهما وفيه زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى وهو متروك الحديث .

(٥) سورة النساء آية (١٠) .

حرام لقول الله تعالى :

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١)

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال : (**أحدها**) إنه الأخذ على وجه القرض (**والثانى**) الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف، و (**الثالث**) إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً، و (**الرابع**) إنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو فى حل. وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره.

وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة**» وأشار بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من إطعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله فى الحديث: له أو لغيره - أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبياً منه، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة.

وقال رسول الله ﷺ «**من ضم يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر**» (٢) وقال ﷺ : «**من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة**»(٣).

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أوصينى بوصية. قال : إرحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكى

(١) سورة النساء آية (٦) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٢٩٨٣/٤ .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه أبو يعلى ٢٤٥٧/٤ وغيره . وفيه عبيد الله بن زخر وعلى بن يزيد وهما ضعيفان جداً .

قسوة قلبه، فقال رسول الله ﷺ « **إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك**» [1].

ومما حكى عن بعض السلف قال: كنت فى بداية أمرى مكباً على المعاصى وشرب الخمر، فظفرت يوماً بصبى يتيم فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب، وأمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى، فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحباً إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق، وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى، فإنه قد أحسن إلى وأكرمنى. فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه. قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل، وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام ولهذا قال أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة. وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام، يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد: معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك، أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة. وقال داود عليه السلام فى مناجاته: إلهى ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى. معناه ظل عرشى يوم القيامة.

ومما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين - وكان نازلاً ببلد من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة، فخرجت ببناتها إلى بلدة

---

(١) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ١١٠٣٥/٧ وغيره .

أخرى خوف شماته الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة، ومضت تحتال لهم فى القوت فمرت بجمعين: جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد. فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم. فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة. فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى فأعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا به وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، والبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده فى نعمة وكرامة. قال فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ : « **أقم عندى البينة أنك مسلم موحد** ». قال: فبقى متحيراً فقال له ﷺ « **لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم** » فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى. قال : خذ منى ألف دينار وسلمهم إلى، فقال: لا أفعل فقال: لابد منهن. فقال: الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى. أتدل علىّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك؟ قلت : نعم يا رسول الله. قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً فى الأزل. قال فانصرف

المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله. فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا!.

ولهذا ثبت فى الصحيحين [1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله**». قال الراوى أحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر**»، والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى. وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

الكبيرة الرابعة عشر:

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ :

قال الله عز وجل :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [2].

قال الحسن : هم الذين يقولون : إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل قال ابن الجوزى فى تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض، وإنما الشأن فى الكذب عليه فيما سوى ذلك.

وقال ﷺ : «**من كذب علىّ بُنى له بيت فى جهنم**» [3]. وقال ﷺ : «**ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» [4]. وقال ﷺ : «**من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» [5].

وقال ﷺ : «**إن كذباً على، ليس ككذب على غيرى. من كذب على**

---

(١) انظر صحيح البخارى ٥٣٥٣/٩ وصحيح مسلم ٢٩٨٢/٤ .

(٢) سورة الزمر آية (٦٠) .

(٣) حديث صحيح رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٨/١ وله شاهد عند أحمد ٢٢/٢ وغيره

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٦١٩٧/١٠

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ص (٩) والترمذى ٢٦٦٢/٥ وغيرهما

متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» [1] وقال ﷺ : **« من يقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار»** [2] وقال ﷺ : **« يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب»** [3]. نسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم.

الكبيرة الخامسة عشرة :الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة وإن بعدت.

قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [4].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ : **«اجتنبوا السبع الموبقات»**. قالوا : وما هن يا رسول الله؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»** [5].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [6].

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت :

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [7].

فكتب أن لا يفر مائة من مائتين. رواه البخارى.

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٢٩١/٣ ومسلم فى المقدمة ص (١٠) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى (١٠٩)

(٣) حديث ضعيف فى حالة رفعه رواه ابن أبى شيبه فى الايمان (٨٢) لكنه صحيح موقوف على ابن مسعود .

(٤) سورة الأنفال آية (١٦)

(٥) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٦) سورة الأنفال آية (٦٥) .

(٧) سورة الأنفال آية (٦٦) .

الكبيرة السادسة عشرة : غش الإمام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1].

وقال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [2]

وقال الله تعالى :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [3] وقال الله تعالى ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [4].

وقال رسول الله ﷺ : «**من غشنا فليس منا**» [5]، وقال عليه السلام.«**والظلم ظلمات يوم القيامة**» [6]، وقـال ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» [7]. وقال رسول الله ﷺ : «**أيما راع غش رعيته فهو فى النار**» [8]، وقال ﷺ : « **من استرعاه الله رعية ثم لم يخصها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة**» أخرجه البخارى وفى لفظ : « **يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة** » [9].

---

(١) سورة الشورى آية (٤٢) .
(٢) سورة إبراهيم آية (٤٢ ، ٤٣) .
(٣) سورة الشعراء آية (٢٧) .
(٤) سورة المائدة آية (٧٩) .
(٥) حيث صحيح رواه مسلم برقم (١٠١) .
(٦) حديث صحيح رواه البخارى ٢٤٤٧/٥ ومسلم ٢٥٧٩/٤ .
(٧) حديث صحيح رواه البخارى ٧١٣٨/١٣ ومسلم ١٨٢٩/٣ .
(٨) حديث صحيح رواه أحمد فى سنده ٢٥/٥ وغيره باسناد صحيح وصححه الالبانى .
(٩) حديث صحيح رواه مسلم برقم (١٤٢) وغيره .

وقال ﷺ : «ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه، فإن قال ألقه ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفاً». رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ : «ويل للأمراء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء. ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء» (١).

وقال ﷺ : «ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط» (٢). وقال ﷺ : «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره» (٣).

ومن دعاء رسل الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ولى من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به. ومن شفق عليهم فاشفق عليه » (٤). وقال ﷺ : «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره» (٥).

وقال رسول الله ﷺ : «سيكون أمراء فسقة جورة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، ولن يرد على الحوض» (٦) وقال رسول الله ﷺ : «صنفان من أتى لن تنالهم شفاعتى: سلطان ظلوم غشوش، وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم» (٧). وقال عليه السلام: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر» (٨). وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا

(١) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٣٥٢/٢ والحاكم ٩١/٤ وآخر الحديث صحيح رواه أحمد .

(٢) حديث ضعيف رواه ابن حبان (١٥٦٣) وفيه صالح بن سرج بن عبد القيس وهو مجهول الحال . ضعفه الالبانى .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ٤٣١/٢ والطبرانى ٢٧/٦ وغيرهما . واسناد صحيح .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٢٨٢٨/٣ وغيره .

(٥) حديث صحيح رواه أبو داود ٢٩٤٨/٣ وصححه الحاكم ٩٣/٤ والألبانى .

(٦) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٤٣/٤ وصححه الترمذى والحاكم ٧٩/١ .

(٧) حديث ضعيف جداً رواه الطبرانى فى الكبير ٢١٤/٢٠ وفيه أغلب بن تميم وهو منكر الحديث .

(٨) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسنده ٢٢/٣ وغيره وفيه عطية العوفى ضعيف مدلس . وضعفه الالبانى .

يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم. إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عمهم بالبلاء» [1].

وقال رسول الله ﷺ : **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** [2] **«ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»** [3] وفى الحديث أيضاً **(من لا يَرحم لا يُرحم)**[4] **(لا يرحم الله من لايرحم الناس»** [5]. وقال ﷺ : **«الإمام العادل يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»** [6]. وقال : **«المقسطون على منابر من نور، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا»** [7].

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن قال: **«إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»** رواه البخارى، وقال عليه الصلاة والسلام: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب، وقال : إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة»** رواه البخارى وفيه أيضاً **«وإنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه»**.

وقال رسول الله ﷺ : **« يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء، أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى »** [8]. وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىَ ﷺ قال: **«من طلب قضاء المسلمين حتى يناله**

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو نعيم فى الحلية ٢٨٧/٨ وغيره . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٦/٧ فيه من لم أعرفه .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٢٦٩٧/٥ ومسلم ١٧١٨/٣ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ١٨٧٠/٤ ومسلم ١٣٧٠/٢ .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٥٩٩٧/١٠ .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم برقم (٢٣١٩) .

(٦) حديث صحيح متفق عليه .

(٧) حديث صحيح رواه مسلم ١٨٢٧/٣ .

(٨) حديث صحيح رواه عبد الرزاق فى المصنف (٢٠٧١٩) والحاكم ٤٢٢/٤ .

ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار » [1].

وقال : «**ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة**» [2]. وقال عمر لأبى ذر رضى الله عنهما: حدثنى بحديث سمعته من رسول الله، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعاً لله فى عمله مضى به، وإن كان عاصياً لله فى عمله انخرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاماً**» [3]. فقال عمر: من يطلب العمل بها يا أبا ذر؟ قال : من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب.

وقال عمرو بن المهاجر، قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم قل : يا عمر ما تصنع.

يا راضياً باسم الظالم كما عليك من المظالم، السجن جهنم والحق الحاكم، ولا حجة لك فيما تخاصم، القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل فخلص نفسك، والعمر كيوم فبادر شمسك، تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث. إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة. فإذا رأيت ظالماً قد سطا فنم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أى قروح فى الجسد.

الكبيرة السابعة عشر : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه ـ قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [4]. وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [5].

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو داود ٣٥٧٥/٣ وغيره وفيه موسى بن نجدة وهو مجهول .

(٢) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف رواه الطبرانى ١٢١٩/٢ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٠٦/٥ فيه من لم أعرفه.

(٤) سورة غافر آية (٢٧) .

(٥) سورة النحل آية (٢٣) .

وقال رسول الله ﷺ : «**بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة**» [1] وقال عليه الصلاة والسلام: «**يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان**» [2] وقال بعض السلف أول ذنب عصى الله به الكبر.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [3].

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [4] رواه مسلم، وقال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [5] وقال ﷺ : قال الله تعالى : «**العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار**» رواه مسلم. المنازعة : المجاذبة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة : ما لي ما يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار أوثرت بالجبارين والمتكبرين**» [6] الحديث، وقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [7] أي لا تمل خدك معرضاً متكبراً. والمرح التبختر.

وقال سلمة بن الأكوع : «**أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله، قال: كل بيمينك. قال: لا أستطيع، فقال : لا استطعت، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد**» رواه مسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٣٤٨٥/٦ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ١٧٩/٢ وغيره وصححه الالباني .

(٣) سورة البقرة آية (٣٤) .

(٤) انظر صحيح مسلم (٩١) كتاب الايمان .

(٥) سورة لقمان آية (١٨) .

(٦) حديث صحيح رواه البخاري ٧٤٤٩/١٣ ومسلم ٢٨٤٦/٤ .

(٧) سورة لقمان آية (١٨) .

كل عتل جواظ مستكبر» [1]: العتل الغليظ الجافى والجواظ: الجموع المنوع، وقيل الضخم المختال فى مشيته، وقيل البطين.

عن ابن عمر رضى الله عنهما: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان»** [2]. وصح من حديث أبى هريرة: **« أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط أى ظالم، وغنى لا يؤدى الزكاة، وفقير فخور »** [3]. وفى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق، سلعته بالحلف الكاذب»** والمسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال: **«ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار»** [4].

وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته. ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٤٩١٨/٨ .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ١١٨/٢ وغيره وصححه الالبانى انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (٥٤٣) .

(٣) حديث ضعيف جداً سبق الاشارة إليه .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٧/١٠ .

الكبيرة الثامنة عشر : شهادة الزور

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [1] الآية فى الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين وقال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [2] .

وفى الحديث« **لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار**»[3].

قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم (أحدها) الكذب والافتراء.

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [4].

وفى الحديث(**يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب**) [5]

(**وثانيهما**) إنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

(**وثالثها**) : إنه ظلم الذى شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ : «**من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار**» [6] (ورابعها) : إنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض. قال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور ... فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**» [7] رواه البخارى. فنسأل الله تعالى

(١) سورة الفرقان آية (٧٢) .

(٢) سورة الحج آية (٣٠) .

(٣) حديث موضوع رواه الحاكم ٩٨/٤ وغيره وفيه (محمد بن الفرات) وهو أحد الكذابين .

(٤) سورة غافر آية (٢٨) .

(٥) حديث ضعيف إذا كان مرفوع سبق الاشارة إليه .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى ٦٩٦٧/١٢ وغيره .

(٧) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

السلامة والعافية من كل بلاء.

الكبيرة التاسعة عشر : شرب الخمر

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [١].

فقد نهى عز وجل فى هذه الآية عن الخمر وحذر منها، وقال النبى ﷺ : **«اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث»** [٢] فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله.

قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٣].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك.

وذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر، وهى بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها فى غير حديث. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة»** [٤] رواه مسلم،

---

(١) سورة المائدة آية (٩٠ ، ٩١) .

(٢) حديث صحيح موقوف على عثمان رضى الله عنه رواه النسائى ٣١٥/٨ وغيره .

(٣) سورة النساء آية (١٤) .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٢٠٠٣/٣ .

وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»** [١].

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : من شرب الخمرة فى الدنيا حرمها فى الآخرة.

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن :

رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«مدمن الخمر كعابد وثن»** [٢].

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة :

روى النسائى [٣] من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر»** [٤] وفى رواية **«ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه، والديوث »** [٥] وهو الذى يقر السوء فى أهله.

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة :

روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : **«ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء: العبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»** [٦].

والخمر ما خامر العقل أى غطاه سواء كان رطباً أو يابعاً أو مأكولاً أو

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٢٠٠٢/٣ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى فى التاريخ الكبيير ١٢٩/١ .

(٣) النسائى : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى ولد بنسا سنة ٣٠٣ هـ سمع من خلائق لا يحصون وكان إماما فى الحديث ثقة ثبتاً حافظا انظر تهذيب التهذيب ٣٧/١ .

(٤) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٦٩/٢ .

(٦) حديث ضعيف رواه ابن خزيمة ٩٤٠/٢ وغيره وفيه زهير بن محمد فيه لين .

مشروباً، وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام فى جسده شىء منها»** (1). وفى رواية **«من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم»** (2). وقال رسول الله ﷺ: **«من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة، فإن مات فيها مات كعابد وثن، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قيل : يارسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار القيح والدم»** (3).

وقال عبد الله بن أبى أوفى: من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى. قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها؟ قال: لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين.

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها :

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : **«لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»** (4). أخرجه البخارى وفى الحديث **«من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كمايخلع الإنسان القميص من رأسه»** (5) وفيه: من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً، ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً. وفيه عن النبى ﷺ أنه قال : **«إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن»** (6). وروى الإمام

---

(1) حديث صحيح رواه عبد بن حميد فى المنتخب (٩٨٣) .

(2) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ١٧٦/٢ وغيره .

(3) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(4) سبق الاشارة إليه .

(5) حديث ضعيف سبق الاشارة إليه .

(6) حديث ضعيف جداً رواه الأصبهانى فى الترغيب ١٢٣٦/٢ وفيه الربيع بن بدر وهو متروك الحديث.

أحمد من حديث أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات** - أى الزانيات **يؤذى أهل النار ريح فروجهن»** [1].

وقال رسول الله ﷺ : **«إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين، بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمزق الجاهلية، وأقسم ربى تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها عبد من عبيدى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء»** [2].

ذكر من لعن فى الخمر :

روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : **«لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها»** [3].
رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها»** [4].

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: **«لا تعودوا شُرَّاب الخمر إذا مرضوا»** [6]. قال البخارى ، وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة

---

(٢) حديث ضعيف سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف رواه أحمد ٢٥٧/٥ وغيره رفيه الفرج بن فضاله وهو ضعيف .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٥/٢ .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٣١٦/١ وغيره وصححه الألبانى .

(٦) حديث ضعيف رواه البخارى فى الأدب المفرد (١٠١٧) وفيه عبيد الله بن زحر .

الخمر، وقال ﷺ : «**لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه، مدلعاً لسانه على صدره، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر**» [1].

قال بعض العلماء : إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله: لعن الله الخمور وشاربها الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات، فلذلك نهى عن عياذته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه.

ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها :

عن أم سلمه رضى الله عنها قالت : اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز، فدخل علىّ رسول الله ﷺ وهو يغلى، فقال: ما هذا يا أم سلمة؟ فذكرت له إنى أداوى به ابنتى فقال رسول الله ﷺ «**إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها**» [2].

ذكر أحاديث متفرقة رويت فى الخمر :

من ذلك ما ذكره أبو نعيم فى[3] «الحلية» عن أبى موسى رضى الله عنه، قال: أتى النبى ﷺ بنبيذ فى جرة له نشيش فقال: «**اضرب بهذا الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر**» [4].

وقال رسول الله ﷺ : «من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها

---

(١) حديث ضعيف رواه ابن عدى فى الكامل ٢١٤/٢ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ٤٢/٣ . وفيه أبو مطيع البلخى وهو متروك .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ١/١٩ وغيره وصححه الالبانى (١٦٣٣) .

(٣) أبو نعيم : هو الحافظ أحمد بن عبد الأصبهانى محدث مؤرخ صوفى له الحلية وتاريخ أصبهان ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة توفى سنة ٤٣٠ هـ انظر طبقات الشافعية ٣ - ٧ الميزان ٥٥/١ الوفيات ٣٢/١ لسان الميزان ٢٠١/١ .

(٤) حديث صحيح رواه أبو نعيم فى الحلية ٨٤/٦ وغيره .

الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدى الله تبارك تعالى فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم. فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة وجاء عن النبى ﷺ : «ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون، يقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عنى خيراً فأنت الذى أوردتنى هذا المورد، ويقول له الآخر مثل ذلك»، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجاً حتى يتوبوا، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم إلا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام**» (١).

ويدخل فى قوله ﷺ (**كل مسكر خمر**) (٢): الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى. روى «أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها» نعوذ بالله منها.

ذكر الآثار عن السلف فى الخمر :

ذكر ابن مسعود رضى الله عنه قال: إذا مات شارب الخمر فادفنوه، ثم اصلبوه على خشبه، ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً. وعن الفضيل بن عياش أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها، ذكرها عليه فقال: لا أقولها وأنا برىء

---

(١) انظر اللآلىء المصنوعة للسيوطى ٣٦٥/٢ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٢٠٠٣/٣

منها، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ، ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به إلى النار، فقال له: يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: ياأستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى تشرب فى كل سنة قدحاً من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك، فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى! فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء.

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة، فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة وقال بعض الصالحين: مات لى ولد صغير، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه. فقلت: يا ولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك؟ فقال : يا أبتى دفن إلى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الزنيا، فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة.

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة، فيلقى فى النار، نعوذ بالله منها.

(**فصل**) : والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها، كما يحد شارب الخمر وهى أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد. والخمر أخبث من جهة أنها مضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصدر عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً، وليس كذلك بل أكلتها ينشون ويشتهونها كشراب

الخمر وأكثر، حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من الديائة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك. لكن لما كانت جامدة مطعومة - ليست شراباً - تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره، فقيل : هى نجسة كالخمر المشروبة، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا، لجمودها، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها، وبكل حال: فهى داخلة فيما حرم الله ورسوه من الخمر المسكر لفظاً ومعنى، قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، و «المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال ﷺ : **«كل مسكر حرام»**[1] رواه مسلم، وقال ﷺ : **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»** [2]، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً، على أن الخمر قد يصطنع بها يعنى الخبز، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضى وإنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل فى وصفها شعراً :

فـآكلهـا وزارعـهـا حـلالاً فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً عشت فى أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشة

(١) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٣٤٣/٣ والنسائى ٣٠٠/٨ وغيرهما باسناد صحيح .

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان: أن شاباً جاء إليه باكياً حزيناً فقال: يا أمير المؤمنين إنى ارتكبت ذنباً عظيماً فهل لى من توبة؟ قال وما ذنب؟ قال ذنبى عظيم. قال : وما هو فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات. قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة قال: وما رأيت؟ قال يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر: ألا تسأل لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفاً بالصلاة. هذا جزاء مثله. ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه، فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى : ألا تسأل عن عمله، ولماذا يعذب؟ فقلت : لماذا؟ فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة. والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار وأخرج لسانه من قفاه، فخفت ورجعت، وأردت الخروج فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى؟ فقلت: لماذا فقال: كان لا يتحرز من البول، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله. والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت وما حاله؟ فقال: كان تاركاً للصلاة. والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفى نور ساطع، والميت نائم على سرير، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة، وأردت الخروج فقيل لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة. فقلت : لماذا أكرم؟ فقيل لى: لأنه كان شاباً طائعاً نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : إن فى هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين. فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله وإياكم من الطائعين، وجنبنا أفعال الفاسقين، إنه جواد كريم.

الكبيرة العشرون : القمار

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١).

والميسر هو القمار بأى نوع كان : نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله : **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** (٢)، وداخل فى قول النبى ﷺ : **«إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»** (٣). وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : **«من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق»** (٤)، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل ؟!.

(فصل) : اختلف العلماء فى النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من لعب بالنرد شير**(٥) **فكأنما صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه»** أخرجه مسلم. وقال ﷺ : **«من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»** (٦). وقال ابن عمر رضى الله عنه، اللعب بالنرد قمار كالدهن بودك الخنزير.

قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو

---

(١) سورة المائدة آية (٩٠ ، ٩١) .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٨) .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٣١١٨/٦ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٤٨٦٠/٨ ومسلم ١٦٤٧/٣ وغيرهما .

(٥) النردشير : فارسية معربه وتعرف فى أيامنا هذه بالطاولة وقد أجمع العلماء على تحريم لعبها .

(٦) حديث صحيح رواه مالك فيى الموطأ ٩٥٨/٢ وغيره بسند صحيح .

بغيره. أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضاً قمار حرام عن أكثر العلماء، وحكى إباحته فى روايه عن الشافعى : إذا كان فى خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها. وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم. وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أمْ لا، وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله: إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام، وإلا فمكروه عند الشافعى، وحرام عند غيره، وهذا كلام النووى فى فتاويه.

والدليل على تحريمه قول الأكثرين فى قول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ [1] إلى قوله **﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾** قال سفيان[2] ووكيع بن الجراح [3]: هى الشطرنج، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الشطرنج ميسر الأعاجم. ومر رضى الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفى خير له من أن يمسسها. ثم قال: والله لغير هذا خلقتم. وقال أيضاً رضى الله عنه: صاحب الشطرنج أكذب الناس. يقول أحدهم: قتلت، وما قتل. ومات وما مات. وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه: لا يلعب بالشطرنج إلا خاطئ. وقيل لإسحاق بن راهويه، أترى فى اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال : البأس كله فيه. فقيل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: هو

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) هو سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله من اتباع التابعين بالكوفة وكان من الحفاظ المتقين والفقهاء فى الدين ممن لزم الحديث والفقه وواظب على العبادة والورع حتى صار علما يرجع إليه فى الامصار وملجا يقتدى به فى الاقطار توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ انظر المشاهير /١٧٠ .

(٣) هو وكيع بن الجراح من اتباع التابعين بالكوفة من الحفاظ المتقين وأهل الفضل فى الدين ممن رحل وكتب وجمع وصنف وحفظ وحدث وذاكر وبث مات سنة ١٩٦ هـ انظر المشاهير/ ١٧٣ .

فجور. وسئل محمد بن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج فقال: أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل.

وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن الشطرنج، فقال: هى أشر من النرد وتقدم الكلام عن تحريمه. وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال: الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالاً ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها. ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم، ولكن لما اللعب بها حراماً أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج. وهذا مذهب حبر الأمة رضى الله عنه. وقيل لإبراهيم النخعى: ما تقول فى اللعب بالشطرنج؟ فقال: إنها ملعونة.

وروى أبو بكر الأثرم فى جامعه عن واثله بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: **« إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب »** [1] يعنى لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات. وروى أبو بكر الآجرى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال: **« إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون: شاه مات »** [2].

(١) حديث موضوع رواه ابن حبان فى المجروحين ٢٩٧/٢ وفيه محمد بن الحجاج المصفر وهو متروك .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه ابن حبان فى المجروحين ٢٦/٣ وفيه مطهر بن الهيثم وهو متروك الحديث

وروى عنه ﷺ أنه قال : « **أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه يعنى صاحب الشطرنج، ألا تراه يقول : قتلته، والله مات، والله افترى ، وكذب على الله** » [1].

وقال مجاهد : ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال: شاهك ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب، فقال عوض كلمة الإخلاص: شاهك. وهذا كما جاء فى إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر إنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له: إشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وهذا كما جاء في حديث مروى: يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه. فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين إنه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2].

وقال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [3].

---

(١) حديث ضعيف رواه المنذر فى الترغيب ٥٧/٤ .

(٢) سورة النور آية (٢٣ ، ٢٤) .

(٣) سورة النور آية (٤) .

بيّن الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه فى الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلاً. وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات»** [1] فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة. أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة. أو يقول لبنتها يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة. فإن القحبة عبارة عن الزانية، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل: يا زانى، أو قال لصبى حر يا علق، أو يا منكوح، وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم بينة بذلك، والبينة كما قال الله : أربعة شهود يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل، فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التى قذفها أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يا زانى أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة، لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»** [2]. وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة فى الدنيا والآخرة ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»**. فقال له معاذ بن جبل: يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال **«ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟»** [3] وفى الحديث : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٨٥٨/١٢ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٤٧٧/١٢ ومسلم ٢٩٨٨/٤ .

فليقل خيراً أو ليصمت». وقال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١) وقال عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: **«أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك، وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى»** (٢).

وقال ﷺ « **إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذىء** » (٣) الذى يتكلم بالفحض وردىء الكلام، وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جوّاد كريم.

الكبيرة الثانية والعشرون :

الغلول من الغنيمة

وهى من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (٤)

وقال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٥).

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد

(١) سورة ق آية (١٨) .
(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٢٣٠/٥ .
(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠١٨/١٠ .
(٤) سورة الأنفال آية (٥٨) .
(٥) سورة آل عمران آية (١٦١) .

أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. أخرج هذا الحديث مسلم.

(قوله) : على رقبته رقاع تخفق - أى ثياب وقماش، (قوله) : على رقبته صامت - أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال بغير إذن الإمام، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته، كما ذكر الله تعالى فى القرآن ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾.(١)

ولقول النبى ﷺ : **«أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة»** (٢) ولقول النبى ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم، وقال: هذا لكم وهذا أهدى لى. فصعد النبى ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: **«والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله، فلا عرفن رجلاً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يده حتى رؤى بياض إبطيه ﷺ فقال : اللهم هل بلغت»**(٣) ؟

وعن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادى (يعنى

(١) سورة آل عمران آية (١٦١) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٣١٨/٥ وصححه الألبانى .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٢٥٩٧/٥ ومسلم ١٨٣٢/٣ .

وادى القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب)، فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله، فرمى بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله : كلا والذى نفسى بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم. قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال: أصبت يوم خيبر). فقال رسول الله ﷺ شراك أو شراكان من نار متفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال النبى ﷺ : هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها. وعن زيد بن خالد الجهنى أن رجلاً غل فى غزوة خيبر فامتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه، وقال : إن صاحبكم غل فى سبيل الله. قال ففتشنا متاعة فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوى درهمين. قال الإمام أحمد رحمه الله : ما نعم أن النبى ﷺ امتنع من الصلاة على أحد إلا على الغال، وقاتل نفسه. وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**هدايا العمال غلول**»(1).

وفى الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم، والظلم على ثلاثة أقسام (**أحدها**) أكل المال بالباطل، (**وثانيها**) – ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، (**وثالثها**) – ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف، وقد خطب النبى ﷺ بمنى فقال : «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا**» متفق عليه.

وقال ﷺ : «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**» (2). فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

---

(1) حديث صحيح رواه أحمد ٤٢٥/٥ وغيره .

(2) حديث صحيح رواه مسلم ٢٢٤/١ .

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس، والله عزيز فى انتقامه من السارق، حكيم فيما أوجبه من قطع يده.

وقال ﷺ : **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة»** (٢).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قطع فى مجن قيمته ثلاثة دراهم، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعداً. وفى روايه قال رسول الله ﷺ : **«لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن»** (٣). قيل لعائشة رضى الله عنها: وما ثمن المجن؟ قالت : ربع دينار. وفى رواية قال: اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك. «كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثنى عشر درهماً».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لعن الله السارق الذى يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»** (٤). قال الأعمش(٥) كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوى

---

(١) سورة المائدة آية (٣٨) .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث صحيح رواه النسائى ٨٠/٨ وغيره قوله (ثمن المجن) أي ما يعادل ربع دينار .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٦٧٨٣/١٢ .

(٥) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى أبو محمد الكوفى الأعمش ثقه حافظ عارف بالقرآن ورع لكنه يدلس من الطبقة الخامسة مات سنة ١٤٧ هـ أخرج له أصحاب الأصول الستة . انظر تقريب التهذيب ٣٣١/١ ترجمة ٥٠٠ .

ثمنه ثلاثة دراهم.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : **«يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله تعالى»** ثم قام النبى ﷺ خطيباً فقال: **«إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** (1) فقطع يد المخزومية.

وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه أمن السنة ؟ قال: أتى النبى ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت فى عنقه. قال العماء : و لا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال، والله أعلم.

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ ي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (2).

قال الواحدى رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما. كل من عصاك فهو محارب لك، ويسعون فى الأرض فساداً أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب

---

(1) حديث صحيح رواه البخارى ٣٤٧٥/٦ وغيره .

(2) سورة المائدة آية (٣٣) .

لله ورسوله وهذا قول مالك الأوزاعى [1] والشافعى. (قوله تعالى): أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوالبى عن ابن عباس رضى الله عنهما (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة، إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، وهذا قول الحسن [2] وسعيد بن المسيب ومجاهد، وقال فى رواية عطية أو ليست للإباحة، إنما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات. فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب. ومن أخذ المال ولم يقتل قطع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض، وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه. وقال الشافعى أيضاً: يحد كل واحد بقدر فعله. فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت، فإن عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى، فرن عاد وسرق قطعت يده اليسرى، لما روى عن النبى ﷺ قال فى السارق: « **إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله** » [3]. ولأنه فعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى «من خلاف».

وقوله تعالى: ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾ . قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام

---

(١) الأوزاعى: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو أحد أئمة الدين فقها وعلما وورعاً وحفظا وفضلا وعبادة وضبطا مع زهادته من اتباع التابعين. مات ببيروت مرابطا ١٥٧ هـ المشاهير / ١٨٠ .

(٢) الحسن: هو الحسن بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانين سنه انظر المشاهير /٨٨ .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه الدارقطنى ١٨١/٣ وغيره . وفيه محمد بن عمر الواقدى وهو متروك .

دمه فيقول من لقيه فليقتله، هذا فيمن يقدر عليه، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب فى البلاد فقد نفى منها أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً،

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه فى الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك. نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم غفور رحيم.

الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

قال الواحدى : نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فى ضيعة ، فهمّ المدعى عليه أن يحلف، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه. وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان**»(٢). فقال الأشعث: فيّ والله نزلت، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى، فقدمته إلى النبى ﷺ فقال : ألك بينة؟ قلت : لا ، قال

---

(١) سورة آل عمران (٧٧) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٢٤١٦/٥ وغيره .

لليهودي: إحلف. قلت: يا رسول آلله إنه إذن يحلف فيذهب بمالي. فأنزل الله تعالى **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾** أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين **﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾** أي لا نصيب لهم في الآخرة **﴿ولا يكلمهم الله﴾** أي بكلام يسرهم **﴿ولا ينظر إليهم﴾** نظراً يسرهم، يعني نظر الرحمة ﴿ولا يزكيهم﴾ ولا يزيدهم خيراً ولا يثني عليهم.

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان**» (١). قال عبد الله. ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾** إلى آخر الآية أخرجاه في الصحيحين. وعن أبي إمامة قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**» فقال رجل: وإن كان يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن كان قضيباً من أراك**» أخرجه مسلم في صحيحه. قال حفص بن ميسرة: ما أشد هذا الحديث. فقال: أليس في كتاب الله تعالى: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾** الآية. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**». فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله من هم؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» (٢). وقال ﷺ: «**الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**» أخرجه البخاري في صحيحه والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم، وقيل تغمسه في النار.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٢٦٦٩/٥ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١٠٦/١ .

(**فصل**) : ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبى والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة، وهى من أشد ما هنا، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان.

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت**» [1]. وفى رواية فى الصحيح «**فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت**».

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لاتحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم**» رواه مسلم. الطواغى: جمع طاغية وهى الأصنام، ومنه الحديث: هذه طاغية دوس أى صنمهم ومعبودهم. وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من حلف بالأمانة فليس منا**» رواه أبو داود وغيره، وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من حلف فقال إنى برئ من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً**» [2].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: والكعبة، فقال: «لا تحلف بغير الله»، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» [3]. رواه الترمذى وحسنه بن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهم. قال: وفسر بعض العلماء قوله «كفر أو شرك» على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**الرياء شرك**» [4].

وقال ﷺ : «**من حلف فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا**

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١١/٦٦٤٦ .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٥/٣٣٥ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٢/٦٩ وغيره وصححه الألبانى .

(٤) حديث ضعيف رواه ابن عدى فى الكامل ٧/٢٤ وغيره وفيه أبو قحذم النضر بن معبد قال النسائى ليس بثقه

الله» [1] وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول: لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه، وبالله التوفيق.

الكبيرة السادسة والعشرون: الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء.

قال الله تعالى:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ [2].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ [3]. وقال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [4].

وقال ﷺ « **أن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » [5]. ثم قرأ

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١١/٦٦٥٠ .
(٢) سورة ابراهيم آية (٤٢ – ٤٥) .
(٣) سورة الشورى آية (٤٢) .
(٤) سورة الشعراء آية (٢٢٧) .
(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٤٦٨٦/٨ وغيره .

رسول الله ﷺ:

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١).

وقال ﷺ : (**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)(٢).

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: إنه قال: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**» (٣). وقال رسول الله ﷺ : «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، فيأتى وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، ونبش عن عرض هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا. فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار**» (٤).
وهذه الأحاديث كلها فى الصحاح وتقدم حديث: «**إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» (٥) وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**». وفى الصحيح: «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة**».

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى : (**اشتد غضبى على من ظلم من لم**

---

(١) سورة هود آية (١٠٢) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٢٤٤٩/٥ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ٢٥٧٧/٤ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٢٥٨١/٤ وغيره .

(٥) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

يجد له ناصراً غيرى) [1] وأنشد بعضهم

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول . لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء، وقال أبو هريرة رضى الله عنه: إن الحبارى لتموت فى وكرها هزالاً من ظلم الظالم وقيل مكتوب في التوراة: ينادى مناد من وراء الجسر - يعنى الصراط - يامعشر الجبابرة الطغاة، ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم. عن جابر قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: (**ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟)** فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها. فلما قامت التفتت إليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسى وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون. سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غداً. قال فقال رسول الله ﷺ . **«صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم»** [2] ؟

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركباً ولج عتواً فى قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له مالم يكن فى حسابه

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: **«خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا وإلا أمر بهم فى الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه**

---

(١) حديث ضعيف جداً رواه الطبرانى فى المعجم الصغير (٧١) وفى اسناد من لا يعرف
(٢) حديث صحيح رواه ابن حبان (٢٥٨٤) وغيره بسند صحيح

من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها» [1].

وعن عبد الله بن سلام قال: (**إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه**) [2]. وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخاً تأوى إليه، فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر. فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت : يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه.

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال: يا أبتى بعد العز صرنا فى القيد والحبس. فقال: يا بنى دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحداً قط هيبتى رجلاً ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك.

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعراً:

أمـــا والله إن الظلم شــــوم ... ومـــازال المسىء هو المظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غــداً عند المليك من الملوم

وعن أبى إمامة قال: يجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم

---

(١) انظر الزواجر للهيثمى ٢/٢٦٥ .

(٢) انظر الزواجر للهيثمى ٢/٢٦٦ .

لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً. قلنا : يا رسول الله كيف وإنما نأتى حفاة عراة. فقال: بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً. وجاء عن النبى ﷺ أنه قال من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب، فحقد الولد على المعلم إلي أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له: ما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب، فقال المعلم: إعلم أيها الملك إنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحداً، فقال: جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه.

ومن الظلم أخذ مال اليتيم، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وفى رواية أن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين وأنشدوا شعراً :

توق دعـا المظلوم إن دعـاءه ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعـا من ليس بين دعـائه وبين إله العـالمين حـجـاب
ولا تحـسبن الله مطرحـا له ولا أنه يخـفى عليـه خطاب
فـقـد صح أن الله قـال وعـزتى لأنصـر المظلوم وهو مـثـاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جـهـول وإلا عـقله فـمـصـاب

(فصل) : ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغنى ظلم» وفى رواية «لىّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» أى يحل شكايته وحبسه.

(فصل) : ومن الظلم ان يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل فى قوله ﷺ «لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه. قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ . قال: فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى حقوقكم. قال فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخل الجنة بها، وإن كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صك صكاً إلى النار. ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبى ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإن فنيت

حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار».

(**فصل**) ومن الظلم أن يستأجر أجيراً أو إنساناً فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته» وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى : أنا حجيجه – أو قال أنا خصمه – يوم القيامة. ومن ذلك أن يحلف على دين فى ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. قيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال وإن قضيباً من أراك».

فَخفِ القصاص غداً إذا وفيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس
فى موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مقنع للراس
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شديد البأس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فغداً تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها فى الدنيا كما قال النبى ﷺ : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاه الجلحاء من الشاة القرناء». وقال ﷺ : «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح فى النار». وروى عبد الله بن أبى الدنيا بسنده إلى أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله قال: «**أول**

من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها فى الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ من دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار» [1]. وكان شريح القاضى يقول: سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب. وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه، ودخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قال الله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [2]. فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم، والحق الحاكم!.

(فصل): فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتم. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [3] والركون ههنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا تميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة، وقال السدى وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة، وقال عكرمة: هو أن يطيعهم ويودهم، وقال أبو العالية: لاترضوا بأعمالهم **﴿فتمسكم النار﴾** فيصيبكم لفحها **﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾**، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثم لا تنصرون﴾ لا تمنعون من عذابه، وقال الله تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ

---

(١) حديث ضعيف رواه الطبرانى فى الكبير (٣٩٦٩) وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثى وهو ضعيف.
(٢) سورة الأعراف آية (٤٤).
(٣) سورة هود آية (١١٣).

ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[1] أى أشباههم وأمثالهم وأتباعهم. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه**» [2]. وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ : «**من أعان ظالماً سلط عليه**» [3]، وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة»، وقال مكحول الدمشقى: ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبّر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم. وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال: إنى رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «**أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة**»[4] وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيام. الجلاوزة: أعوان الظلمة.

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بنى إسرائيل أن لا يتلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى، وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم، وفى رواية فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة. وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يقف**

---

(١) سورة الصافات آية (٢٢) .

(٢) حديث ضعيف رواه أحمد ٢٤/٣ وغيره وفيه سليمان بن أبى سليمان وفيه جهالة .

(٣) حديث موضوع انظر المقاصد الحسنة (١٠٦٣) .

(٤) حديث ضعيف جداً رواه أبو المهزم يزيد ابن سفيان وهو متروك .

أحدكم فى موقف يُضرب فيه رجل مظلوم فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه» [1].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أتى رجل فى قبره فقيل له: إنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه، فالتهب القبر عليه فقال: لم ضربتمونى هذه الضربة؟ فقالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره»** [2]. فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم!؟

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»** [3].

ومما حكى قال بعض العارفين: رأيت فى المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة فقلت له ما حالك؟ قال: شر حال؟ فقلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله. قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [4] ومما حكى قال بعضهم رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رآنى فلا يظلمن أحداً فتقدمت إليه، فقلت له: يا أخى ما قصتك؟ قال: يا أخى قصة عجيبة، وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى، فجئت إليه فقلت : أعطنى هذه السمكة، فقال: لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالى، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها. قال: فبينما أنا أمشى بها حاملها إذ عضت على إبهامى عضة

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو نعيم فى الحلية ٣٤٥/٣ وفيه أسد بن عطاء وهو مجهول .

(٢) حديث ضعيف رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد وضعفه الالبانى .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٢٤٤٣/٥ وغيره .

(٤) سورة الشعراء آية (٢٢٧) .

قوية فلما جئت بها إلى بيتى وأقيتها من يدى ضرب على إبهامى وآلمتنى ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدى، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم، فقال : هذه بدء الآكلة أقطعها وإلا تقطع يدك، فقطعت إبهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم، فقيل لى : إقطع كفك فقطعته، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألماً شديداً، ولم أطق القرار، وجعلت أستغيث من شدة الألم: فقيل لى : اقطعها إلى المرفق فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول، فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها. فقال لى بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال لى: لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً، فاذهب الآن إليه وأطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك. قال: فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكى وقلت له : يا سيدى سألتك بالله ألا عفوت عنى. فقال لى: ومن أنت؟ قلت: أنا الذى أخذت منك السمكة غصباً، وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها. ثم قال : يا أخى قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء، فقلت : يا سيدى بالله هل كنت قد دعوت علىّ لما أخذتها؟ قال: نعم. قلت : اللهم إن هذا تقوى علىّ بقوته على ضعفى على ما رزقتنى ظلماً فأرنى قدرتك فيه. فقلت: يا سيدى قد أراك الله قدرته فىّ وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة، ولا عدت أقف لهم على باب، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حياً. إن شاء الله وبالله التوفيق.

(**موعظة**) إخوانى كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها – شعر

يا معرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمر النواحى وغرس الحدائق، ونال الأمانى وركب العواتق؟ صاح به من داره غراب بين ناعق، وطرقه فى لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق، وقلاه الحبيب الذى لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق. نازله والله الموت فلم يحاشه، وأذله بالقهر بعد عز جاشه، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، ومزقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه، وبقى فى ضنك شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه. ما نفعه والله الاحتراز، ولا ردت عنه الركاز، بل ضره من الزاد الإعواز، وصار والله عبرة للمجتاز، وقطع شاسعاً من السبل والأوفاز، وبقى رهيناً لا يدى أهلك أم فاز. وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه الآن أحلام، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غداً على التمام، ويقع لى ولك، ويحك! أما يؤثر فيك هذا الكلام؟

الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس

وهو داخل فى قوله الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ مالا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال النبى ﷺ : «**المكاس لا يدخل الجنة**»(٢). وقال ﷺ : «**لايدخل الجنة صاحب مكس**» رواه أبو داود، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد. ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ

---

(١) سورة الشورى آية (٤٢) .

(٢) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ١٤٣/٤ وغيره وفيه محمد بن اسحاق وهو مدلس .

منهم؟ إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات! وهو داخل فى قول النبى ﷺ : «**أتدرون من المفلس؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع، قال: إن المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج، ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار**» (١).

وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم : « **لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له** » (٢) أو لقبلت منه، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص. وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندى وشيخ وصاحب رواية شركاء فى الوزر آكلون للسحت والحرام، وصح أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت. النار أولى به**» (٣) والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

وذكره الواحدى رحمه الله فى تفسير قول الله تعالى : ﴿**قل لا يستوى الخبيث والطيب**﴾. وعن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتى، وإنى جمعت من بيعها مالاً، فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ : إن أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة. إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (٤).

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام، فنسأل الله العفو والعافية.

---

(١) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١٦٩٥/٣ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى ٦١٤/٢ وغيره .

(٤) سورة المائدة آية (١٠٠) .

(**موعظة**) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدائق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس، أزعجه والله هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، وتركه فى ظلام ظلمة من الجهل والدنس، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب فى خلس. ينظر.

تبنى وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأعمار تختلس

ذا اللب فكر فما فى العيش من طمع ... لابد ما ينتهى أمر وينعكس

أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا

ومن سيوفهم فى كل معترك ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس

أضحوا بمهلكة فى وسط معركة ... صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا

وعمهم حدث وضمهم جدث ... باتوا فهم جثث فى الرمس قد حبسوا

كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا

والله لو عاينت عيناك ما صنعت ... أيدى البلا بهم والدود يفترس

لعاينت منظراً تشجى القلوب له ... وأبصرت منكراً من دونه البلس

من أوجه ناضرات حار ناظرها ... فى رونق الحسن منها كيف ينطمس

وأعظم باليات ما بها رمق ... وليس تبقى لهذا وهى تنتهس

وألسن ناطقات زانها أدب ... ما شانها بالآفة الخرس

ختام ياذا النهى لا ترعوى سفهاً ... ودمع عينيك لا يهمى وينبجس

(**موعظة**) يا من يرحل فى كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة، ولا يصغى إلى ناصح وقد عزله، ودروعه مخرقه والسهام مرسله، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابه ووله. كن

كـيف شئت فبين يديك الحسـاب والزلزلة. ونعم جلدك فـلا بد للديدان أن تأكله. فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة، استيقن من غرور وبله. ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله، فقد أولاك لو علمت منزله. فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله. فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة.

الكبيرة الثامنة والعشرون :

أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

قال الله عز وجل :

﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ ﴾ [1].

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل. قال ابن عباس رضى الله عنهما: يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين، **أحدهما** أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة. **والثانى** على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك، وفى صحيح البخارى : أن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» [2]. وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ : «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك» وعن أنس رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله : أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « **يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً**» [3] وروى البيهقى بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قسم بينكم**

(١) سورة البقرة آية (١٨٨) .

(٢) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب ١١١٠/٢ .

اخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن» [1]. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه فى غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان. ورب متخوض (فيما اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة» [2] وجاء عن ﷺ أنه قال: «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لأن جعل أحدكم فى فيه تراباً خير من أن يجعل فى فيه حراماً. وقد روى عن يوسف بن إسباط رحمه الله قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: أنظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه.

إن إجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ وقد روى فى حديث أن ملكاً على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة: «من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة. وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً من شبهة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة». وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من حج بمال حرام فقال لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود

---

(١) حديث صعيف هكذ، رواه أحمد ٣٨٧/١ وغيره

(٢) حديث ضعيف رواه البيهقى ٥٥٢٧/٤ وغيره

عليك» [1]. وروى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه»** [2]. «وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: **«لا يقبل الله صلاة امرىء وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه»**. وقال سفيان الثورى: من أنفق الحرام فى الطاعة كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال، وقال عمر رضى الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام». وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **« لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام»**[3]. وعن زيد بن أرقم قال: كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج ـ أى قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله: من أين أتيت بها؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه. قال فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله، ثم قال له: من أين جئت بهذا، فقال: كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة، إلا أنى خدعتهم. فقال أبو بكر: أف لك كدت تهلكنى! أدخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له: أنها لا تخرج إلا بالماء، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شىء فى بطنه. فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضى الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»**، **فخشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة »**. وقد تقدم قوله ﷺ : **«لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام»** وإسناده صحيح. قال العلماء رحمهم الله : ويدخل فى هذا الباب: المكاس،

---

(١) حديث ضعيف رواه ابن الجوزى فى منهاج القاصدين ١/٥٩/١ وغيره. وفيه أبو الغصن الدجين ابن ثابت وهو ضعيف.

(٢) حديث ضعيف جداً رواه أحمد ٩٨/٢ وغيره وضعفه الألبانى.

(٣) حديث ضعيف جداً رواه الديلمى ٧٧٤٨/٥ وغيره وفيه عبد الواحد بن زيد البصرى واه بمرة.

والخائن، والزغلى، والسارق، والبطال، وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور، ومن استعار شيئاً فجحده، وآكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور والزانية، والنائحة والعشرية، والدلال، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه.

(**فصل**) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يؤتى يوم القيام بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلهم هباء منثوراً ثم يقذف بهم فى النار. فقيل يا رسول الله: كيف ذاك؟ قال: كانوا يصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم**» [1]. وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال : خيراً، غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها. فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

(**موعظة**) عباد الله أما الليالى والأيام تهدم الآجال؟ أما مآل المقيم فى الدنيا إلى الزوال، أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال، أما غاية السلامة نقصان الكمال، أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال، أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟

---

(١) رواه ابن ماجة ٤٢٤٥/٢ .

وعــــــــزيز نـاعـم ذل لـه | كل صــعب المرتقى وعــز المرام
فكســـاه بعـــد لين ملبس | خـــشناً بالرغـم منه فى الرغـام
ووجـــوه ناضـــرات بدلت | بعـد لون الحسن لوناً كـالقتـام
وشـــمـــوس طالعـــات أفلت | بعـــد ذاك النور منهـــا بالظلام
ومنيف شـــامخ بنيـــانه | لين الأعطاف مـــهـــتـــز القـوام
أف للدنيـا فـمـا شيـمـتـهـا | غير نقض العقد أو خفر الذمام
فـاستعـدوا الزاد تنجـوا واعـملوا | صـالحـاً من قـبل تقـويض الخيـام

يا متعلقاً بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق، يا مضيعاً فى الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحى من المخلوق؟ يا مؤثراً أعلى العلالى ساتراً ذلك الفسوق، ألا سترى ذلك الفسوق! يا متولهاً مهاد الهوى وهو فى سجن الردى مرموق، إبك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه، وسكن الإيمان بالآخرة فى قلبه، ونام غافلاً على جنبه، ونسى جزاءه على جرمه وذنبه، وأعرض إلى ريّه من الهوى عن ربه، كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله وسربه، ونقله إلى قبره ذلك بعد عجبه. فياذا اللب جز على قبره وعج به. لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع. فما بالها لا تسكب المدامع؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع. يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انتبه لما بقى وانته وراجع، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع، إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع.

الكبيرة التاسعة والعشرون :

أن يقتل الإنسان نفسه

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [١].

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم، أى لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة. هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو ابن العاص، قال: احتلمت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أُهلك، فتيممت فصليت بأصحابى الصبح، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : **يا عمرو صليتَ بأصحابك وأنت جنب؟** فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت إنى سمعت الله يقول : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً**﴾. فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً [٢]. فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك على النبى ﷺ قوله ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع وقال قوم الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة، وقوله تعالى: ﴿**عدواناً وظلماً**﴾ مع العدوان أن يعدو ما أمر الله به ﴿ **وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أى أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار. وعن جندب ابن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: (**كان فيمن كان قبلكم** رجل به جرح فجزع، **فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم**

---

(١) سورة النساء آية (٢٩ ، ٣٠) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٠٣/٤ وغيره وصححه الحاكم ١٧٧/١ .

حتى مات. قال الله تعالى: (بادرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة) [1]. مخرج فى الصحيحين. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالداً فيها أبداً»** مخرج فى الصحيحين. وفى حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لعن المؤمن كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله، ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة»** [2]. وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ: **(هو من أهل النار)**. فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه جواد كريم غفور رحيم.

(**موعظة**) ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة؟ وكيف تقصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟ يا معرضاً عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض؟ يا غافلاً عن الموت والعمر لاشك فى انقراض. يا مغتراً فى أمله وأيدى المنايا فى أجله تقرضه بمقراض، يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم فى انتقاض، يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى ولله الأبعاض. يا غافلاً عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض. يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض، يا ضاحكاً وعيون الفنا غير غماض، لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض؟

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٣٦٤/٣ وغيره.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

الكبيرة الثلاثون :
الكذب فى غالب أقواله

قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [1]،وقال الله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾[2] أى الكاذبون، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [3].

وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وان الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»**. وفى الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال : **«آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»**. وقال عليه الصلاة والسلام :**«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**. وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال : **(فأتينا على رجل مضطجع لقفاه، وآخر قائم عليه بكلوب [4] من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل فى الجانب الأول، فما يرجع إليه حتى يصبح مثل ما كان، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة. فقلت لهما:**

---

(١) سورة آل عمران (٦١) .

(٢) سورة الذاريات آية (١٠) .

(٣) سورة غافر آية (٢٨) .

(٤) الكلوب : أى الخطاف تجمع على كلاليب .

«من هذا؟ فقالا: إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق» وقال ﷺ : «يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب» [1]. وفي الحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» [2]. وقال ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» [3]. العائل: الفقير. وقال ﷺ : «ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب. ويل له، ويل له ويل له» [4]. وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون﴾. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ما يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له» [5]. وقال ﷺ ، «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»، وفي الحديث أيضاً : «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد»، وقال رسول الله ﷺ : «أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا» [6] معناه أن يقول : رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين.

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام. إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة.

---

(١) حديث موقوف على ابن مسعود سبق الاشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم ٢٥٦٣/٤ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ١٠٧/١ .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ٢/٥ وغيره .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٢٣٥٨/٥ .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى ٧٠٤٣/١٢ .

فإن فى السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء. وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**. فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لا ينبغى للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم، قال أبو موسى قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. وفى الصحيحين: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها** - أى ما يفكر فيها بأنها حرام - **يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»**. وفى موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى ان رسول الله ﷺ قال: **«ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»** [1] والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية. وسئل بعضهم: كم وجدت فى ابن آدم من العيوب؟ فقال: هى أكثر من أن تحصى، والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها، وهى حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه إنه جواد كريم.

(**موعظة**) أيها العبد: لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها. لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد شيب الذوائب، يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب الشيب من جملة المصائب. يمضى زمن الصبا وحب الحبائب. كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب. يا غافلاً فإنه أفضل المناقب، أين البكا لخوف العظيم الطالب أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب؟ نظرت فيه آخر العواقب.

(١) حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ ٩٨٥/٢ وغيره وصححه الألبانى.

كم فى القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب! من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى : ما صنعت فى كل واجب؟

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب، إذا أتتك الأمانى يظن الكاذب. الموت صعب شديد مر المشارب، يلقى شره بكأس صدور الكتائب. فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب. يا آملاً أن تبقى سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيج العناكب. أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب.

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

قال الله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [١]

وقال الله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢]

وقال الله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٣] .

روى الحاكم بإسناده وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله**» [٤].

---

(١) سورة المائدة آية (٤٤) .

(٢) سورة المائدة آية (٤٥) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٧) .

(٤) حديث ضعيف جداً رواه العقيلى فى الضعفاء (٢٢٠) .

وصحح الحاكم أيضاً من حديث بريدة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ **«القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار»** [1]. قالوا فما ذنب الذى يجهل؟ قال : «ذنبه أن لا يكون قاضياً حتى يعلم». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : **«من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين»** [2]. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ، ينبغى للقاضى أن يكون يوماً فى القضاء ويوماً فى البكاء على نفسه. وقال محمد بن واسع رحمه الله: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة»** [3]. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن القاضى ليزل فى زلقة فى جهنم أبعد من عدن». وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم»**. وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على القضاء وقال أيوب السختيانى: «إن وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه». وقيل للثورى: إن شريحاً قد استقضى، فقال: أى رجل قد أفسدوه! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى، فعاده وقال: لتجلسن،

(١) حديث صحيح رواه الحاكم ٩٠/٤ وصححه .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٣٠/٢ وصححه الحاكم ٩١/٤ .

(٣) حديث ضعيف سبق الاشارة إليه .

وإلا جلدتك. فقال: إن تفعل فإنك سلطان، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الأخرة! وقال وهب بن منبه: إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك. وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه: أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح. فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور، والسلام. قال: ويحرم على القاضى أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه، ويبادر بالخلاص. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، انه جواد كريم.

(**موعظة**) يا من عمره كلما زاد نقص، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص يا مائلاً إلى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطاً فى عمره هل بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاج له الهوى نكص، من لك يوم الحشر عند نشر القصص. عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة، وليست له فى حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب تضمر التوبة إذا فرغت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة.

الكبيرة الثانية والثلاثون :
أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

أى لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام، أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم. وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم**» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن. وعند عبد الله بن عمرو: (**لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى**)(٢). قال العلماء: فالراشى هو الذى يعطى الرشوة، والمرتشى هو الذى يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخل فى اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقاً أو دفع بها ظلماً. وقد روى فى حديث آخر: إن اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعى بينهما، وهو تابع للراشى فى قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته.

(**فصل**) : ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ : «**من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا**» (٣) وعن ابن مسعود قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه، وعن مرسوق أنه

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٨) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ١٦٤/٢ وغيره وصححه الحاكم ١٠٢/٤ .

(٣) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

كلم ابن زياد فى مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها، وقال سمعت ابن مسعود يقول: من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم. فقال: ذلك كفر، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء مكروه.

(**الحكاية**) عن الإمام أبى عمر الأوزاعى رحمه الله – وكان يسكن ببيروت – أن نصرانياً جاء إليه فقال: إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل، فقال الأوزاعى رحمه الله: إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه، وإن شئت أخذت القلة. فكتب له إلى الوالى أن ضع عن هذا النصرانى من خراجه. فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالى فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الإمام، رحمه الله وحشرنا فى زمرته.

(**موعظة**) عباد الله : تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب. أين الذين قعدوا فى طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا:

أمـــا والله لـو علـم الأنام	**لما خلقـوا لما هجعـوا ونامـوا**
لقــد خلقــوا لأمــر لو رأته	**عيـون قلوبهم تاهوا وهامـوا**
ممات، ثم قبـر، ثم حشـر،	**وتـوبيـخ، وأهـوال، عـظـام**
ليوم الحشر قد عملت رجال	**فصلوا من مخافته وصاموا**
ونحن إذا أمــرنا أو نهــينا	**كـأهل الكهف إيقـاظ نيـام**

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ، وبآفات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام ووبخ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ، يا مطلقاً لسانه والملك

يحصى وينسخ، يا من طير الهوى فى صدره قد عشش وفرخ، كم أباد ملوكاً كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ؟ يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ. والحمد لله دائماً أبداً.

الكبيرة الثالثة والثلاثون:

تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء.

فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (**لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء**) [1]. وفى رواية: «**لعن الله الرجلة من النساء**». وفى روايته قال: «**لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**» [2] يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : «**لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة**» [3].

فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[4] أى أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم، ولقول النبى ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة**» [5].

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٥٨٨٥/١٠ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٥٨٨٦/١٠ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٣٢٥/٢ وغيره وصححه الحاكم ١٩٤/٤ .

(٤) سورة التحريم آية (٦) .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٧١٣٨/١٣ وغيره .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال «**ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء**»[1]. وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى فى النار، وقال ﷺ «**صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمه البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» أخرجه مسلم[2]. (قوله) كاسيات أى من نعم الله عاريات من شكرها وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها. ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، مميلات أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم، وقيل مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة. رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله ابن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً. فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت : امرأة فالتفت إلى ابن عمرو فقال: إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون من الرجال بالنساء.

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الذينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، لبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء، قال عنهن

---

(١) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٤٥/٥ وغيره وفيه بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة فيه لين .

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب اللباس ٢١٢٨/٣ .

النبى ﷺ : « **اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء** »[1] وقال ﷺ : «**ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء** »[2]. فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

(**موعظة**) : ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم. مفرقاً من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم، وندمت على التفريط غاية الندم، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد، إلى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفذ، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجاء ، متى تكون فى الليل قائماً إذا سجا، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا، وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا؟ لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا. وبقيت فى أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

يا نائم الليل متى ترقد ... قم يا حبيبى قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
فقل لذوى الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٣٢٤١/٦ وغيره .
(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٢٧٤٠/٤ وغيره .

الكبيرة الرابعة والثلاثون :

الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى :

﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء**» (٢) وروى النسائى أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله**» (٣) يعنى يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز، أو صداقاً ثقيلاً، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيرة له. فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم.

(**موعظة**) أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لمماة آت، حتى متى لا تجتهد فى إلحاق القوافل الماضيات، أتطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات؟ هيهات هيهات هيهات! يا آملاً فى زعمه اللذات إحذر هجوم هازم اللذات، إحذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات :

---

(١) سورة النور آية (٣) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ١٣٤/١ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه النسائى فى السنن ٨٠/٥ باسناد صحيح .

تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها | تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم | لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذى | ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولفت، أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس، متى تعتبر بربع غيرك الدارس؟ أين الأكاسر الشجعان الفوارس، وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس، أين من اعتاد سعة القصور؟ حبس فى القبور فى أضيق المحابس! أين الرافل فى أثوابه عرى فى ترابه عن الملابس، أين الغافل فى أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس؟ حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها، ولمن جهل نفسه أن يزجرها، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها، ولمن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

الكبيرة الخامسة والثلاثون :

المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ(**لعن المحلل والمحلل له**) [1]. قال الترمذى: والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضاً بإسناد صحيح. وعن ابن

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٤٤٨/١ وغيره وصححه ابن دقيق العيد على شرط البخارى .

عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : «**لا ، إلا نكاح رغبة، لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة**» [1]. ورواه أبو إسحاق الجوزجاني. وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له** » [2]. رواه ابن ماجة باسناد صحيح. وعن ابن عمر أن رجلاً سأله فقال: ما تقول فى امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا، إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها، وإنّا كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ. وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما». وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : (ذلك السفاح). وعن عبد الله بن شريك العامرى قال: سمعت ابن عمر رضى الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب فيها، فأراد رجل أن يتوزوجها ليحلها له. فقال ابن عمر: كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأله رجل فقال: ابن عمى طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال: ابن عمك عصى ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً. فقال: كيف ترى فى رجل يحلها له؟ فقال: من يخادع الله يخدعه. وقال إبراهيم النخعى: إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول وقال الحسن البصرى: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول، فقال: لا تحل. وممن قال بذلك مالك بن أنس، والليث ابن سعد، وسفيان الثورى، والإمام أحمد. وقال إسماعيل بن

---

(1) انظر الزواجر للهيثمى ٥٧/٢ .

(2) حديث صحيح رواه الحاكم ١٩٨/٢ وغيره باسناد صحيح .

سعيد: سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك؟ فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون، ومذهب الشافعى رحمه الله : إذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة، وان وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة، وإن عقد كذلك ولم يشرط فى العقد ولا قبله لم يفسد العقد، وان تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل. ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح فى الرافعى. ووجه الثانى أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم. فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، إنه جواد كريم غفور رحيم.

(**موعظة**) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها، التقطوا أيام السلامة فغنموا، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا، هجروا فى طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا، أسلموا إليه لما سلموا الروح، وخدموه والصدر لخدمته مشروح، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح. تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

الكبيرة السادسة والثلاثون :

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [1]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر النبى ﷺ بقبرين فقال: (**إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول**) [2] أى لا يتحرز منه. مخرج فى الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ : «**استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه**» [3] رواه الدارقطنى.

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة. وروى الحافظ أبو نعيم فى «الحلية» عن شُفى بن ماتع الأصبحى عن رسول الله ﷺ قال: « **أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون ما بين الحميم والجحيم، ويدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار لبعضهم البعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى. قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فمه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه. قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس، ثم يقال للذى يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول : إن الأبعد كان لا يبالى أين ما أصاب البول منه «ولا يغسله»**. **ثم يقال للذى يسيل فمه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها. وفى رواية: كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة، ثم يقال للذى يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من**

---

(١) سورة المدثر آية (٤) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٢١٨/١ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه الدارقطنى ١٢٨/١ باسناد صحيح .

الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس - يعني بالغيبة »[1].

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

(**موعظة**) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا، واعلموا انهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه	**يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق**
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه	**كر الجديدين نقصاً ثم يمتحق**
كان الشباب رداء قد بهجت به	**فقد تطاير منه للبلا خرق**
ومات مبتسم جد المشيب به	**كالليل ينهض في أعجازه الأفق**
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه	**من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا**
وطالما نغصت بالفجع صاحبها	**بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا**
دار لعهد بها الآجال مهلكة	**وذو التجارب فيها خائف فرق**
يا للرجال لمخدوع بباطلها	**بعد البيان ومغرور بها يثق**
أقول والنفس تدعوني لزخرفها	**أين الملوك، ملوك الناس والسوق**
أين الذين إلى لذاتها جنحوا	**قد كان قبلهم عيش ومرتفق**
أمست مساكنهم قفراً معطلة	**كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا**
يا أهل لذة دار لا بقاء لها	**ان اغتراراً بظل زائل حمق**

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين :

﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2].

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو نعيم في الحلية ١٦٧/٥ وفيه أيوب بن بشير العجلي وهو مجهول .

(٢) سورة النساء آية (١٤٢) .

وقال الله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ⁽٤⁾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⁽٥⁾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⁽٦⁾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [1]

وقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [2] الآية.

وقال الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [3].

أى لا يرائى بعمله. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **«إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جرئ، وقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكن فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال:**

---

(١) سورة الماعون آية (٤ – ٦) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٤) .

(٣) سورة الكهف آية (١١) .

كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارئ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار» رواه مسلم [1]. وقال ﷺ : **«من سمع سمع الله به، ومن يرائى يراءى به»** [2]. قال الخطابى معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، والله أعلم. وقال عليه الصلاة والسلام: **«اليسير من الرياء شرك»** [3]. وقال ﷺ «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فقيل : وما هو يا رسول الله؟ قال الرياء. يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: **«اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»** [4]، وقيل فى قوله الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [5] قيل: كانوا عملوا أعمالاً يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويل لأهل الرياء. وقيل: إن المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائى، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا. وقال الحسن: المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء، يريد أن يقول الناس هو صالح، فكيف يقولون وقل حل من ربه محل الأردياء؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله: انظروا إلى عبدى كيف يستهزئ بى. وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته، فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب. وقيل: إن أبا أمامة الباهلى رضى الله عنه أتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فى سجوده ويدعو، فقال له

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٩٠٥/٣ .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٤٩٩/١١ وغيره .

(٣) حديث ضعيف رواه الحاكم ٤/١ وغيره وسنده فيه انقطاع .

(٤) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٥) سورة الزمر آية (٤٧) .

أبو أمامة: أنت، أنت، لو كان هذا فى بيتك! وقال محمد بن المبارك الصورى: إظهار السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: للمرائى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان فى الناس، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعاقبك الله منهما.

فنسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم.

(**موعظة**) عباد الله! إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل، فليخبر الأواخر الأوائل، وليستيقظ الغافل قبل القوافل، يا من يوقن أنه لاشك راحل، وما له زاد ولا رواحل، يا من لج فى لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل؟ هل انتبهت من رقاد شامل، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل، وقمت فى الليل قيام عاقل، وكتبت بالدموع سطور الرسائل، تخفى بها زفرات الندم والوسائل، وبعثتها فى سفينة دمع سائل. لعلها ترسى على الساحل. وا أسفاً لمغرور جهول غافل، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل، وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل، يبنى البنيان ويشيد المعاقل، وهو عن ذكر قبره متشاغل، ويدعى بعد هذا أنه عاقل. تالله لقد سبقه الإبطال إلى أعلى المنازل، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل، وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل:

أيها المعجب فخراً	بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل	لقيام وقنوت
فغداً تنزل بيتاً	ضيقاً بعد النحوت
بين أقوام سكوت	ناطقات فى الصموت
فارض فى الدنيا بثوب	ومن العيش بقوت
واتخذ بيتاً ضعيفاً	مثل بيت العنكبوت
ثم قل: يا نفس هذا	بيت مثواك فموتى

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [1] يعنى العلماء بالله عزوجل، قال ابن عباس، يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى. وقال مجاهد والشعبى: العالم من خاف الله تعالى. وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم.

وقال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [2].

نزلت هذه الآية فى علماء اليهود، وأراد ﴿**بالبينات**﴾ الرجم والحدود والأحكام، وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام، ونعته ﴿**من بعد ما بيناه للناس**﴾ أى بنى إسرائيل ﴿**فى الكتاب**﴾ أى فى التوراة، ﴿**أولئك**﴾ يعنى الذين يكتمون ﴿ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ قال ابن عباس: كل شيء لا الجن

---

(١) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٢) سورة البقرة آية (١٥٩) .

والإنس. وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته.

وقال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١).

قال الواحدى : نزلت هذه الآية في يهود المدينة، أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله تعالى : **﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾**، وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما فى كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله **﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾**. قال ابن عباس: أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم، **﴿واشتروا به ثمناً قليلاً﴾** يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم، وقوله : **﴿فبئس ما يشترون﴾**. قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا. وقال رسول الله ﷺ : «**من تعلم مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة**» (٢) يعنى ريحها رواه أبو داود وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار، أحدهم الذى يقال له : (**إنما تعلمت ليقال عالم وقد قيل**) وقال ﷺ : «**من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه، فإلى النار**» (٣). وفى لفظ «**أدخله الله النار**» أخرجه الترمذى، وقال ﷺ : «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**» (٤). وكان من دعاء رسول الله ﷺ : «**أعوذ بك من علم لا**

(١) سورة آل عمران آية (١٨٧) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢/٣٣٨ وغيره وصححه ابن حبان .

(٣) حديث صحيح رواه ابن عدى فى الكامل ١/٣٣٣ وغيره وحسنه الألبانى .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ٢/٢٦٣ والترمذى ٥/٢٦٤٩ وقال حديث حسن .

ينفع» [1]. وقال ابن مسعود : **«من تعلم علماً لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبراً»**. وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : **«يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بما لقيت هذا وإنما اهتدينا فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»** [2] وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به. فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(**موعظة**) ابن آدم! متى تذكر عواقب الأمور؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟ إلى متى أنت فى جميع ما تبنى تدور؟ أين من كان من قبلكم فى المنازل والدور؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور؟ رحل والله الكل فاجتمعوا فى القبور، واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما فى الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور. وباءوا بتجارة لن تبور، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهى تفور، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [3] ليس فى الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

ليس فى الدنيا لمن	آمن بالبعث سرور
إنما يفرح بالدنيا	جهول أو كفور
إنما الدنيا متاع	كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم	السما فيه تمور

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٢٧٢٢/٤ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٣٢٦٧/٦ وغيره .

(٣) سورة الملك آية (٧) .

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

قال الواحدى رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أى إنه الذبح فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله. قال أبو لبابة : فما زالت قدماى من مكانى حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله، وقوله: **﴿وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾** عطف على النهى أى ولا تخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد، يعنى الفرائض يقول: لا تنقضوها. قال الكلبى: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة:فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى. وقوله **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٢) : أى لا يرشد كيد من خان أمانته يعنى أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية، وقال عليه الصلاة والسلام. **«آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان»** (٣) وقال رسول الله ﷺ : **«لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»** (٤). والخيانة قبيحة فى كل شيء وبعضها شر من بعض، وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم. وعن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأنفال آية (٢٧) .

(٢) سورة يوسف آية (٥٢) .

(٣) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ١٣٥/٣ وغيره وصححه الالبانى .

أنه قال: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**» [1] وفى الحديث أيضاً: «**يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب**» [2] وقال رسول الله ﷺ «**يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه**» [3]، وفيه أيضاً: «**أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خير فيه**» [4]. وقال رسول الله ﷺ : «**إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة**» [5]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**هكذا أهل النار وذكر منهم رجلاً لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه**» [6]. وقال ابن مسعود : «يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال فتمثل له كهيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم، ثم يقال له أنزل إليها فأخرجها، قال فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا، حتى إذا ظن إنه ناج هوت وهوى فى أثرها أبد الآبدين ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والغسل أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأعظم ذلك الودائع».

اللهم عاملنا بلطفلك وتداركنا بعفوك

(**موعظة**) عباد الله ! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها، وما أهل النفوس وقد أطعمتموها، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعاماً للدود فى بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصى ما تختار لقال أعود ولا أعود :

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود ٣٥٣٤/٣ وغيره وصححه الألبانى .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف رواه البيهقى ٧٨/٦ وغيره وفيه سعيد بن حيان التيمى لا يُعرف .

(٤) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ٥٢٧٤/٤ وغيره .

(٥) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الكبير ٥٣٨/٢٢ وغيره واسناده جيد .

(٦) حديث صحيح رواه مسلم ٢٨٦٥/٤ .

أين أهل الديار من قوم نوح | ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم فى النمارق والاستبرق | أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً | وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة الأربعون : المنان

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [1].

قال الواحدى هو أن يمن بما أعطى، وقال الكلبى بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» . المسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين، لأنه ﷺ قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار**» [2] وفى الحديث أيضاً : «**ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان**» [3] رواه النسائى وفيه أيضاً: «**لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان**» [4] والخب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذى يعطى شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به. وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾. وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر: أحسنت إليك وفعلت وفعلت. فقال له ابن سيرين: أسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى. وكان بعضهم يقول: من

---

(١) سورة البقرة آية (٢٦٤) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ١٠/٥٧٨٧ وغيره .

(٣) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٤) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ١/٧ وغيره وفيه فرقد السبخى وهو ضعيف .

بمعروفه سقط من شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره. وأنشد الشافعى رحمه الله تعالى :

لا تحـــــملن من الأنام بـأن يمنـوا عـليـك مـنـة
واختــر لنفـسك حظهـا واصـبـر فـإن الصـبـر جنة
منن الرجـــال على القلوب أشـــــد من وقـع الأسـنـة

وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصـــاحب سلفت منه إلىّ يد أبطأ عليـه مكافـاتى فـعـادانى
لما تيـــقن أن الدهر حـــاربنى أبدى الندامـة مما كـان أولانى
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمنـان

(**موعظة**) يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك! إلى متى تغتر بالذى أمهلك، كأنه قد أهملك؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك. يا مطمئناً بالفانى ما أكثر زللك، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل، أين كثير المال، أين طويل الأمل، أما خلا وحده فى لحده بالعمل، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل، أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل، أين من تفوق واحتفل؟ غاب والله نجم سعوده وأفل. أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول.

الكبيرة الحادية والأربعون: التكذيب بالقدر

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) قال ابن الجوزى فى تفسيره: فى سبب نزولها قولان أحدهما، أن مشركى مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية. انفرد بإخراجه مسلم وروى أبو أبو أمامة أن هذه الآية فى القدرية (٢). والقول الثانى: أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصى بقدر وليس كذلك. فقال ﷺ: «**أنتم خصماء الله**» فنزلت هذه الآية:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٣).

وروى عمر بن الخصاب عن رسول الله ﷺ قال: « **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار** » (٤). يقول الله ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر. وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتي العجز والكيس**» (٥). وقال ابن

---

(١) سورة القمر آية (٤٩).

(٢) أى الذين يقول لا قدر مسبق والأمر أنف وهؤلاء تمثلوا فى المعتزلة ومن اتبعهم.

(٣) سورة القمر آية (٤٧ : ٤٩).

(٤) حديث ضعيف رواه الطبرانى فى الأوسط ٢٨٨/٣ وغيره وفيه حبيب بن عمر الأنصارى وهو مجهول.

(٥) حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ ٨٩٩/٢ وغيره بسند صحيح.

عباس: كل شيء خلقناه بقدر. مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [1] قال ابن جرير [2] : فيها وجهان، **أحدهما**: أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم **والثاني**: أن تكون بمعنى الذى فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم. وقال الله تعالى : **﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾** الإلهام إيقاع الشيء فى النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. وقال ابن زايد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم. وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الله منّ على قومٍ فألهمهم الخير فأدخلهم فى رحمته، وابتلى قوماً فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل»** [3] **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾** وعن معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : **«ما بعث الله نبياً قط وفى أمته قدرية ومرجئة، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً»** [4] وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ **«القدرية مجوس هذه الأمة»** [5]، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ : **«لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فإذا**

---

(١) سورة الصافات آية (٩٦) .

(٢) ابن جرير : هو محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر المفسر ، المقرىء ، المحدث ، المؤرخ الفقيه ، الأصولى ، المجتهد ، ولد بآمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد اختار لنفسه مذهبا فى الفقه له التفسير المشهور والتاريخ وتهذيب الآثار واختلاف الفقهاء توفى سنة ٣١٠ هـ انظر تاريخ بغداد ١٦٢/٢ وفيات الأعيان ٥٧٧/١ المنتظم ١٧٠/٦ ومعجم الأدباء ٩٤/٤ مرآة الجنان ٢٦١/٢ لسان الميزان (١٠٠)

(٣) حديث ضعيف رواه الدارقطنى فى الأفراد ٤٦/٢ ضعفه الألبانى .

(٤) حديث ضعيف رواه الطبرانى فى الكبير ١١٧/٢٠ وفيه يزيد بن حصين لا يُعرف .

(٥) حديث ضعيف جداً رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٣٣١) وفيه عبد الله بن يزيد الدمشقى كان يضع الحديث .

لقيتهم فأخبرهم أنى منهم برئ وأنهم براء منى» [1] ثم قال: «والذى نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ما قبل حتى يؤمن بالقدر خير وشره» ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ قال: ما الإيمان؟ قال: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

قوله : «**أن تؤمن بالله**» الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزه عن صفات النقص، وإنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه ما يريد.
والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله :

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2].

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وإنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل. والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه ﴿**والله خلقكم وما تعلمون**﴾ وقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [3]، ومن ذلك قوله

(١) حديث صحيح رواه أبو داود ٤٦٩٥/٤ باسناد صحيح .
(٢) سورة الأنبياء آية (٢٦ - ٢٨) .
(٣) سورة القمر آية (٤٩) .

ﷺ فى حديث ابن عباس : **«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»** [1].

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم.

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهى عما نهى الله عنه، وإخلاص من العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة براً وفاجراً، والصلاة على من مات من أهل القبلة.

والإيمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ولا نكفر أحداً من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخبر أتى به إلا من شهد له النبى ﷺ : والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على رضى الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين.

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : ما لو سَخِرَ باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده كفر، ولو قال. لو أمرنى

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٢٩٣/١ والترمذى ٢٥٥٦/٤ وقال حديث حسن صحيح .

الله بكذا ما فعلت، كفر. ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ما صليت إليها، كفر. ولو قيل له: الا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال لو آخذنى بها مع ما فىّ من المرض والشدة لظلمنى، كفر. ولو قال : لو شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت، كفر، ولو قيل له قلم أظافرك فإنها سنة فقال لا أفعل وان كانت سنة، كفر. ولو قيل له قلم أظافرك فإنها سنة فقال لا أفعل وان كانت سنة، كفر. ولو قال فلان فى عينى كاليهودى، كفر. ولو قال إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف، كفر. وجاء فى وجه: من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان، كفر. وجاء أيضا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر. واختلفوا فى من قال رؤيتى لك كرؤية الموت فقال بعضهم، يكفر ولو قال. لو كان فلان نبياً ما آمنت به، كفر. ولو قال إن كان ما قاله صدقاً نجونا، كفر. ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالاً، كفر. ولو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغنى من جوع، كفر. ولو سمع أذان المؤذن فقال إنه يكذب، كفر. ولو قال: لا أخاف القيامة، كفر. ولو وضع متاعه فقال: سلمته إلى الله فقال له رجل سلمته إلى من لا يتبع السارق، كفر. ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهاً بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة ثريد خير من العلم، كفر. ولو ابتلى بمصائب فقال: أخذت مالى وولدى وماذا تفعل، كفر. ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل ألست بمسلم؟ فقال : لا - متعمداً - كفر. ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم، كفر ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال هذا زنا فالأكثرون على أنه يكفر. ولو قال معلم الصبيان: اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم، كفر. ولو قال النصرانى خير من المجوسى، كفر. ولو قيل لرجل ما الإيمان فقال لا أدرى، كفر. ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى : لا دين لك، لا إيمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت

منافق، أنت زنديق، أنت فاسق، ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار.

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين.

(**موعظة**) عباد الله! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا.

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم	**أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا**
والموت ينذرهم جهراً علانية	**لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا**
والنار ضاحية لابد موردهم	**وليس يدرون من ينجو ومن يقع**
قد أمست الطير والأنعام آمنة	**والنون[1] فى البحر لا يخشى لها فزع**
والآدمى بهذا الكسب مرتهن	**له رقيب على الأسرار يطلع**
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً	**وخصمه الجلد والأبصار والسمع**
وإذ يقومون والأشهاد قائمة	**والجن والأنس والأملاك قد خشعوا**
وطارت الصحف فى الأيدى منتشرة	**فيها السرائر والأخبار تطلع**
فكيف بالناس والأنباء واقفة	**عما قليل وما تدرى بما تقع**
أفى الجنان وفوز لا انقطاع له	**أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع**
تهوى بسكانها طوراً وترفعهم	**إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا**
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم	**هيهات لا رقية تغنى ولا جزع**

(١) النون : أى الحوت ومنها سمى يونس عليه السلام ذو النون .

الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس وما يسرون :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [1]. قال ابن الجوزى رحمه الله : قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد - وهو البحث - ومنه الجاسوس. وقال يحيى بن أبى كثير: التجسس بالجيم عن عورات الناس، وبالحاء الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم. فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً قال: إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذه به.

وقال رسول الله ﷺ : «**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب فى أذنيه الآنك يوم القيامة**» [2]. - أخرجه البخارى، والآنك : الرصاص المذاب. نعوذ بالله منه، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(**موعظة**) عباد الله! إن المنايا قد دقت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، يا فراخ الفنا! فخاخ البلى قد نصبت، عباد الله : كل المعاصى قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [3]. يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب، ومبارز بالقبايح وما يدرى من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب؟ يا من عمره يفنى فى مره ويسرى كالنجائب، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب، يا عجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟!

---

(١) سورة الحجرات آية (١٢) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٧٠٤٢/١٢ وغيره .

(٣) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

الكبيرة الثالثة والأربعون : النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم. هذا بيانها :

وأما أحكامها فهى حرام باجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [١].

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» وفى الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أنه كبير، أما أنه كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز فى كل قبر واحدة، وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**» [٢].

وقوله : وما يعذبان فى كبير أى ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير فى زعمهما. ولهذا قال فى رواية أخرى: «**بلى إنه كبير**» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**) [٣] (**ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**» [٤]. ومعنى من كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين. قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله: إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا. وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان

---

(١) سورة القلم آية (١٠ - ١١) .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٣٤٩٤/٦ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود ٤٨٧٣/٤ وغيره بسند حسن .

الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. وينبغى للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما فى حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية. قال : **وكل من حملت إليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:** (**الأول**) أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر. (**الثانى**) : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله. (**الثالث**) : أن يبغضه فى الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب. (**الرابع**) : أن لا يظن فى المنقول عنه السوء لقوله تعالى : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [1]. (**الخامس**) : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾. (**السادس**) : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نميمته. وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشىء فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا فى أمرك، فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [2]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعى لعنة الله.

وقال الحسن البصرى : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس : من نقل إليك نقل عنك فاحذره .

---

(١) سورة الحجرات آية (١٢) .

(٢) سورة القلم آية (١٣) .

وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطاً من قول الله تعالى : **﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾**، والزنيم هو الدعى.

وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له وذكرله عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له : يا أخى أطلت الغيبة وأتيتنى بثلاث جنايات : بغضت إلىّ أخى، وشغلت قلبى بسببه، واتهمت نفسك الأمينة. وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك. وجاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال : إن فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا، فقال: اذهب بنا إليه، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه، فلما وصل إليه قال: يا أخى إن كان ما قلت فىّ حقاً فغفر الله لى، وإن كان ما قلت فىّ باطلاً فغفر الله لك. وقيل فى قوله الله تعالى : **«حمالة الحطب»** يعنى امرأة أبى لهب، إنها كانت تنقل الحديث بالنميمة. سمى النميمة حطباً لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار. ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

(**حكاية**) روى أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجه سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى [1]، وقال إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموس واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدى: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه، وتريد أن تخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وان لم تصدقنى فتناوم

(١) يتسرى : أى يجامع إحدى جواريه وهذا مباح شرعاً وهن ملك اليمين قال تعالى ﴿ والذين لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ سورة المؤمنون آية (٥ ، ٦) .

لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده. فلما كان الليل جاءت المرأة بالموس لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فيه نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموس وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموس منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتوله فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم. فلذلك سمى الله النمام فاسقاً في قوله تعالى:

﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [1]

(**موعظة**) يا من أسره الهوى فما يستطيع فيه فكاكاً، يا غافلاً عن التلف وقد أدركه إدراكاً، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً، تفكر في ارتحالك وأنت على حالك فإن لم تبك فتباكى.

بكيت فما تبكى شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلقته، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن باك عليك بكاكا
كأن الذى يحثو عليك من الثرى	يريد ما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل [2] أتاكا
ترى الأرض كما فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

(١) سورة الحجرات آية (٦) .

(٢) الخطب الجليل : أي الموت .

الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان

قال النبى ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» [1]. وقال ﷺ : «**لعن المؤمن كقتله**» أخرجه البخارى. وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاينبغى لصديق أن يكون لعاناً**» [2]. وفى الحديث: «**ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء**» [3]. والبذىء: هو الذى يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

وعن رسول الله ﷺ قال « **إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها . ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلاً لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها** » [4] وقد عاقب النبى ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: « **خذوا ما عليها ودعوها أنها ملعونة** » [5] . قال عمران فكأنى أنظر إليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد » أخرجه مسلم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم**»[6]وعن عمرو بن قيس : قال إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقاً فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل

(**فصل**) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله تعالى

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى برقم (٤٨) ومسلم برقم (٦٤) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٢٥٩٧/٤ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٤٠٥/١ وغيره وصححه الألبانى .

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود ٤٩٠٥/٤ وغيره وصححه الألبانى .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ٢٥٩٥/٤ وغيره .

(٦) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ١٥٠/٨.

﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (1). وقال : **﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾** (2) ، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه** » (3) وأنه قال « **لعن الله المحلل والمحلل له** » (4) وانه قال : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة** » (5) . فالواصلة : هى التى تصل شعرها ، والمستوصلة : هى التى يوصل لها . والنامصة هى التى تنتف الشعر من الحاجبين ، والمتنمصة : التى يفعل بها ذلك وإنه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة . فالصالقة : هى التى ترفع صوتها عن المصيبة ، والحالقة هى التى تحلق شعرها عن المصيبة والشاقة هى التى تشق ثيابها عند المصيبة .وإنه لعن المصورين ، وإنه لعن من غير منار الأرض أى حدودها ، وإنه قال : « **لعن الله من لعن والديه ، ولعن من سب أمه** » . **وفى السنن أنه قال** : « **لعن الله من أضل أعمى عن الطريق . ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط** » (6) . وإنه لعن من أتى كاهناً ، أو أتى امرأة فى دبرها ، ولعن النائحة ومن حولها ، ولعن من أمّ قوماً وهم له كارهون ، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن رجلا سمع : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ثم لم يجب . ولعن من ذبح لغير الله ، ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة لرجال والرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل سخيمته على الطريق يعنى تغوط على طريق الناس ، ولعن

---

(1) سورة هود آية (18) .

(2) سورة آل عمران آية (61) .

(3) حديث صحيح رواه مسلم 1598/3 وغيره .

(4) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(5) حديث صحيح رواه البخارى 5937/10 وغيره .

(6) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند 309/1 وصححه الالبانى .

السلتاء .والمرأة السلتا : التى لا تخضب يديها ، والمرأة التى لا تكتحل ، ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده – يعنى أفسدها أو أفسده – ولعن من أتى حائضاً أو امرأة فى برها ، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ، ولعن مانع الصدقة يعنى الزكاة ، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة فى واجهها ، ولعن الشافعة والمشفع فى حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ، ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أمكنه ، ولعن الفاعل والمفعول به – يعنى اللواط – ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها . وقال ﷺ : « **ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد فى كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله ، والمستحيل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى** » [1] «**ولعن الزانى بامرأة جاره**» **ولعن ناكح يده ، ولعن ناكح الأم وبنتها**) (**ولعن الراشى والمرتشى فى الحكم والرائش**) [2] يعنى الساعى بينهما ولعن من كتم العلم ، ولعن المحتكر ، ولعن من أخفر مسلماً يعنى خذله ولم ينصره ، ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة ، (**ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج ، والمتبتلات من النساء، ولعن راكب الفلاة وحده**) [3] (**ولعن من أتى بهيمة**) [4] . نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

---

(١) حديث ضعيف رواه الحاكم فى المستدرك ١/٣٦ وغيره باسناد ضعيف .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٢/٢٨٩ والعقيلى فى الضعفاء برقم (٧٨١) . وفيه الطيب ابن محمد اليمامى لا يكاد يعرف .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ١/٤٠٩ وغيره .

(**فصل**) إعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله المصورين . ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . وأشار الغزالى رحمه الله إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر ، كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . قال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : « **اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله** » [1] وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، قال ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاد على الظالم كقول الإنسان لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجاراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء:من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق

(**فصل**) ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا قليل النظر لنفسه ، أو يا ظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً فى ذلك . وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم برقم (٦٧٥) وغيره .

(**موعظة**) يا قليل الزاد والطريق بعى ، يا مقبلاً على ما يضر تاركاً لما يفيد أتراك يخفى عليك الأمر الرشى ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى أمسك الماضى شهيداً معدلاً	وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة	فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد	فرب غد يأتى وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت	حميمك فاعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١)

قال الزّجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد .

وقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٢) .

قال الواحدى : قال ابن عباس فى رواية الوالبى (العهود) يعنى ما أحل وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن . وقال الضحاك بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهودد وكذا العهود جمع عهد : العقد بمعنى المعقود وهو الذى أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ، ولا سبيل إلى نقضه بحال . وقال مقاتل بن حيان : (**أوفوا بالعقود**) التى عهد الله إليكم فى القرآن ، مما أمركم به من

(١) سورة الإسراء آية (٣٤) .

(٢) سورة المائدة آية (١) .

طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذى نهاكم عنه وبالعهود التى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم . وقال النبى ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لك إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، إذا عاهد غدر ، وإذا اصم فجر** » [1] مخرج فى الصحيحين وقال رسول الله ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان** » [2] وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره** » . أخرجه البخارى وقال رسول الله ﷺ : « **من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيام ولا حجة له ؛ ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » أخرجه مسلم . وقال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر** » [3]

الكبيرة السادسة والأربعون: تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [4]

قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ قال

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٣١٨٨/٦ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ١٨٤٤/٣ وغيره .

(٤) سورة الإسراء آية (٣٦) .

الكلبى : لا تقل ما ليس لك بع علم . وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم . والمعنى : لا تقولن فى شىء بما لا تعلم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ قال الوالبى عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر إلى مالا يحل والاستمتاع إلى ما يحرم وإرادة مالا يجوز ، والله أعلم . وقال الله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [١] قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له فى ملكه فلا يظهر : أى فلا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : إن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ماشاء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « **من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** » [٢] وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماد كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم** » ؟ قالوا ك الله ورسوله أعلم . قال « **أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب** » [٣] .

قال العلماء : إن قال مسلم مطرنا بنوء كذا يريد أن النود هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافراً مرتداً بلا شك ، وإن قال مريداً أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر ، واختلفوا فى

---

(١) سورة الجن آية (٢٦ - ٢٧) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٤٠٨/٢ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٨٤٦/٢ وغيره .

كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : فى أثر سماء – السما هنا المطر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ: « **من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً** » رواه مسلم

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : « **ليس بشيء** » . قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه** «أى يلقيها » **فيخلط معها مائة كذبة** » مخرج فى الصحيحين [1] . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الملائكة تنزل فى العنان** – وهو السحاب – **فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم** » رواه البخارى .

وعن قصيبة بن أبى المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **العيافة والطيرة والطرق من الجبت** » رواه أبو داود وقال : الطرق : الزجر ، أى زجر الطير ، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه . فإن طار إلى جهة اليمين تيمن ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم . قال أبو داود : العيافة الخط . قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد** » [2] ، وقال على ابن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة فى الدنيا والآخرة .

(**موعظة**) عباد الله تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقرن الأخوان ،

---

(١) انظر صحيح البخارى ٥٧٦٢/٩ وصحيح مسلم ٢٢٢٨/٤ .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٢٧٧/١ وغيره وصححه الألبانى .

أين من شيد الايوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت فى اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان (كل من عليها فان) تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم فى أيدى الليالى . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال . عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

من رآنا فليحدث نفسه إنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماد بالجلال
والأباريق عليهم قدمت وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال

الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى :

﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴾ [1] قال الواحدى رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو زن تتعطر وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعيه . ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ، ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ . قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال الشعبى ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها . ﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح . وقال ابن عباس أدباً مثل اللكزة ، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ .

---

(١) سورة النساء آية (٣٤) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفى الصحيحين : إن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح** » [1] وفى لفظ - فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح - ولفظ الصحيحين أيضاً : « **إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها** » [2] .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** » [3] .

وعن الحسن قال حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « **أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها** [4] » . وفى الحديث : إن رسول الله ﷺ قال : (**لايحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه** » أخرجه البخارى . ومعنى شاهد أى حاضر غير غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » [5] رواه الترمذى . وقال عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى ﷺ قال : « **انظرى من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك** » [6] أخرجه النسائى ، وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٥١٩٣/٩ ومسلم ١٤٣٦/٢ .
(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١٤٣٦/٢ وغيره .
(٣) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .
(٤) بعلها : أى زوجها .
(٥) حديث صحيح رواه الترمذى ١١٥٩/٣ .
(٦) حديث صحيح رواه النسائى فى عشرة النساء (٧٦ - ٨٣) .

ﷺ **« لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه »** [1] وجاء عنه ﷺ أنه قال : **« إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع وتتوب »** [2] وقال رسول الله ﷺ : **« أيما إمرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »** [3] .

فالواجب على المرأة أن تتطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه حتى أرادها لقول النبى ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور » قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ، ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها فى حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل ، لقول الله تعالى ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [4] أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن . قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الم ، فإذا تطهرن أى اغتسلن بالما ، والله أعلم .

ولما تقدم من قول النبى ﷺ : **«من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »** [5] . وفى حديث آخر : **« ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها »** [6] . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها فى حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغى للمرأة أن تعرف أنها المملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه

---

(١) حديث صحيح رواه النسائى فى عشرة النساء (٢٤٩) .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه الطبرانى فى الاوسط ١٧٠/١ وضعفه الألبانى .

(٣) حديث ضعيف رواه الترمذى ١١٦١/٣ باسناد ضعيف .

(٤) سورة البقرة (٢٢٢) .

(٥) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٦) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٤٤٤/٢ باسناد صحيح .

بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعى : دخلت البادية فإذا إمرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلنى ثوابه ولعلى أسأت فجعله عقوبتى .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : « **نساؤكم من أهل الجنة الودود التى إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها فى كفه فتقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى** » .

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها ، وغض طرفها قدامه ، الطاعة لأمره ، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع ما يسخطه ، والقيام عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرته ، وتركها الغيبة ، وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيراً .

(**فصل**) فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبغى للمرأة الخائفة من الله أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها . لقول النبى ﷺ : « **أيما أمرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة** » ، وفى الحديث أيضاً « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت** » [1]

وروى عنه ﷺ أنه قال : « **يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء ، والحيتان فى الماء ، والملائكة فى السماء ، والشمس والقمر ما دامت فى رضا زوجها . وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .**

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ١٩١/١ وغيره باسناد حسن وصححه الالبانى .

وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » [1] .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « أربع من النساء فى الجنة ، وأربع فى النار . فأما الأربع اللواتى فى الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء . إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ، وان حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء : فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها مالا يطيق . والثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة .والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها . فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله » [2] وقال النبى ﷺ : « إطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » [3] وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبى ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » [4]

(١) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .

(٢) انظر الزواجر للهيثمى ١٠٤/٢ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٣٢٤١/٦ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه الترمذى

وإعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت فى بيتها ، وفى الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها فى البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها . وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها . وقال على رضى الله عنه لزوجته فاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان على رضى الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وسنظرون إليها ! وكانت عائشة وحفصة رضى الله عنهما يوماً عند النبى ﷺ جالستين ، فدل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبى ﷺ **(احتجبا منه)** فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : **« أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »** (١)

فكما أنه ينبغى للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغى للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضى الله عنها : إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لابد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة فى ثياب بيتها ، وتغض طرفها فى مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية . وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فرآها بعض أهلها فى المنام وقد عرضت على الله عز وجل فى ثياب رقاق ، فعبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : دخلت على النبى ﷺ أنا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبى وأمى يا

---

(١) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٢٩٦/٦ وغيره وفيه (نبهان) وهو مجهول .

رسول الله ، ما الذى أبكاك ؟ قال : يا على ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها ألى ثدييها ويدها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة رأسها خنزير وبدنها حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من النار .

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبيبى وقرة عينى ما كان أعمال هؤلأ حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ يابنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطى شعرها من الرجال ، وزما التى كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفس فراش زوجها ، وأما التى تشد رجلاها إلى ثدييها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة .

وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة .

وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة ويابنية الويل لإمرأة تعصى زوجها .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **لا تؤذى المرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله . فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا** » [1] .

(**فصل**) : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٢٤٢/٥ وغيره .

خلق وغيره ، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [1] ولقول النبى ﷺ « **واستوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً . فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون** » [2] . وقوله ﷺ : «عوان» أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله** » ، وفى رواية « **خيركم ألطفكم بأهله**» وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « **أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون** » [3] .

وقد روى أن رجلاً جاد إلى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـ وهو أمير المؤمنين ـ فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها علىّ : إنها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى . وليس ذلك كله بواجب عليها ،

---

(١) سورة النساء آية (١٩) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٧٢/٥ والترمذى ١١٦٣/٣ وقال حديث حسن صحيح .

(٣) انظر الأحياء ٣٩/٢ .

ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا احتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر : فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة .

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال أخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب إذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : إذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوة لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال أخو زوجك فلان فى الله ، فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، إجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية . قال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف . فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسأل عنه قال : وما هو يا أخى ؟ قال: عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال يا أخى : توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها . كنت معها فى تعب وأنا أحتملها فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها ، فلما تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأس ، فاحتجت أن أحمل

الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرزة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى ، إنه جواد كريم .

الكبيرة الثامنة والأربعون :

التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو من عجين أو من حديد أو من نحاس أو صوف أو غير ذلك ، والأمر بإتلافها .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [1]

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم** » مخرج فى الصحيحين [2] . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « **يا عائشة : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل** » . قالت عائشة رضى الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج فى الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب فى نار جهنم** » [3]مخرج فى الصحيحين ، وعنه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من**

(١) سورة الأحزاب آية (٥٧) .

(٢)انظر صحيح البخارى ٥٩٥١/١٠ وصحيح مسلم ٢١٠٨/٣ .

(٣) انظر صحيح البخارى ٢٢٢٥/٤ وصحيح مسلم ٢١١٠/٣ .

صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً »[1] وعنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا حبة ، أو ليلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة »[2] مخرج فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : إنى وكلت بثلاثة : بكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين »[3].

وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة » مخرج فى الصحيحين .

وفى سنن أبى داود على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب »[4] . وقال الخطابى رحمة الله تعالى قوله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة ، فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة . فإن النبى ﷺ (كان يطوف على نسائه بغسل واحد)[5] وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .

وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء . وأما الكلب فهو أن يقتنى كلباً لا لزرع ولا لضرع ولا صيد ، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه فى بعض الأمور ، أو لحزاسة داره إذا اضطر

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٢٢٢٥/٤ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٥٩٥٣/١٠ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٣٣٦/٢ وغيره وصححه الألبانى .

(٤) انظر سنن أبى داود ٢٢٧/١ واسناده ضعيف ففيه نجى الحضرمى لين الحديث .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم برقم (٣٠٣) .

إليه، فلا حرج عليه إن شاء الله .

وأما الصور فهى كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة فى سقف أو جدار أو موضوعة فى نمط ، أو منسوجة فى ثوب أو مكان ، فرن قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب اتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها . روى مسلم فى صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، إنه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والأربعون :

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة .

روينا فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** » .

وروينا فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ : « **برىء من الصالقة والحالقة والشاقة** » [1] الصالقة : التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة : التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة : التى تشق ثيابها عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه ، والدعاد بالويل والثبور .

(١) انظر صحيح البخارى ١٢٩٦/٣ وصحيح مسلم (١٠٤) .

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح .رواه البخارى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **إثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت** » رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة . رواه أبو داود . وعن أبى بردة قال : وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطيع أن يرد عليها ، فلما أفاق قال : أنا برىء مما برىء منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله برىء من الصالقة والحالقة والشاقة .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى أنت كذا أنت كذا ، أخرجه البخارى .

وفى الصحيحين [1] أن رسول الله ﷺ قال : « **الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه** » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واسيده واجبلاه ، واكذا واكذا ، ونحوه ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذى .

وقال ﷺ : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب** » [2] . وقال ﷺ : « **إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش فى وجوه وشق فى جيوب ورنة شيطان** » [3] وقال

---

(١) انظر صحيح البخارى ١٢٩٢/٣ وصحيح مسلم ٩٢٧/٢ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٩٣٤/٢ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه البيهقى ٦٩/٤ وغيره باسناد صحيح .

الحسن[1] : صوتان ملعونان مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة .

وقال رسول الله ﷺ : « **أن هذه النوائح يجعلن صفين النار فينبحن فى أهل النار كما تنبح الكلاب** » [2] وعن الأوزاعى : أن عمر ابن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال : اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكى بشجوكم إنها تهرق دموعها لأخذ دراهمكم ، وإنها تؤذى موتاكم فى قبورهم، وأحياءكم فى دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

وأعلم أن النياحة : رفع صوت بالندب : تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

قال العماء : ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء ، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام . روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال : « **ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم** »[3] وأشار إلى لسانه وروينا فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ، فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « **هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » [4] . وروينا فى صحيح

---

(١) هو الحسن البصرى سبقت ترجمته .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه الديلمى فى (الفردوس) ٧٢٠٥/٥ وغيره وفيه سليمان بن داود اليمامى منكر الحديث .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ١٣٠٤/٣ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ١٢٨٤/٣ وغيره .

البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « **إنها رحمة** » ، ثم أتبعها بأخرى فقال : « **إن العين لتدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون** » [1] .

وأما الأحاديث الصحيحة : (**أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**) [2] فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة ، واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء رما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « **دعهن فإذا وجبت فلا تبكين باكية** » [3] ، وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم ، وتأولوا حديث «فلا تبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

(**فصل**) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة . لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهيا عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ قال عطاء عن ابن عباس يقول : إنى معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى : ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أى لنعاملنكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله ﴿ **بشىء من الخوف والجوع** ﴾ قال ابن عباس : يعنى خوف العدو ، والجوع يعنى المجاعة

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٢٨٤/٣ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم ٩٢٧/٢ .

(٣) حديث ضعيف رواه مالك فى الموطأ ٢٣٣/١ وغيره باسناد فيه انقطاع .

والقحط ، ﴿ **ونقص من الأموال** ﴾ يعنى الخسران والنقصان فى المال وهلاك المواشى ، ﴿ **والأنفس** ﴾ بالموت والتقل والمرض والشيب ، ﴿ **والثمرات** ﴾ يعنى الحوائج ، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج » . ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ ، ثم نعتهم فقال ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾ أى نالتهم مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ﴿**قالوا إنا لله** ﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿ **وانا إليه راجعون** ﴾ بالهلاك وبالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله إلى انفراده بالحكم . إذ قد ملك فى الدنيا قوماً الحكم ، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها** » رواه مسلم وعن علقمة ابن مرثد بن سابط عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « **من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب** » [(١)] قال رسول الله ﷺ : «**إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : إبنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد** » ، وعن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى « **ما لعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة** » [(٢)] رواه البخارى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من سعادة بنى آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى** » [(٣)] وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ،

(١) حديث صحيح رواه البيهقى فى الشعب ٩٦٩٩/٧ وغيره وصححه الألبانى انظر السلسلة الصحيحة (١٤٠٨) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٤٢٤/١١ .

(٣) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسند ١٦٨/١ وفيه محمد بن أبى حميد الرازى وهو ضعيف .

ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : « م هذا الجزع وم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهب لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فإن كانت شكايتكم وسخطكم علىّ فإنى والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور ، وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وإن لى بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحداً . قال رسول الله ﷺ « **والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم** » .

(**فصل فى التعزية**) عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال «**من عزى مصاباً فله مثل أجره** » رواه الترمذى .وعن أبى بردة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « **من عزى ثكلى كسى برداً من الجنة**»[1] رواه الترمذى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به .

وعن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ « **ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة** » [2] .

واعلم رحمك الله أن التعزية هى التصبير ، وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهى مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى أيضاً داخلة فى قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [3] وهذا من أحسن ما يستدل به فى التعزية .

واعلم أن التعزية « هى الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده . قال

---

(١) حديث ضعيف رواه الترمذى ١٠٧٦/٣ بإسناد ضعيف .

(٢) حديث ضعيف رواه ابن ماجة برقم (١٦٠١) وغيره وسنده فيه انقطاع .

(٣) سورة المائدة آية (٢) .

أصحاب الشافعى : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . قال أصحابنا وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية تسكن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا . وقال أبو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبداً وإن طال الزمان . قال النووى رحمه الله والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين استثناهما أصحابنا ، وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائباً حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعاً ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت فى بى ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها فى الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « **ارجع إليها فأخبرها إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب** »[1] وذكر تمام الحديث . قال النووى رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب ، والصبر على النوازل كلها ، والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قول ﷺ : « إن لله ما أخذ » أن العالم كله ملك لله ، لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عنكم فى معنى العارية . وقوله : « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شىء عنه بأجل مسمى » ، فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى

(١) حديث صحيح رواه البخارى ١٢٨٤/٣ وغيره .

فمحال تأخيره أو تقديمه عنه ، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم . والله أعلم .

وعن معاوية بن أياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أنه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله ابنه الذى رأيته هلك ، فلقيه النبى ﷺ فسأل عن ابنه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : يا فلان « **إيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟ فقال : يا نبى الله يسبقنى إلى الجنة يفتحها لى وهو أحب إلىّ قال : فذلك لك . فقيل : يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال** « **بل للمسلمين عامة** » [1] وعن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى إمرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها : « **يا أمة الله إتقى الله واصبرى** » قالت : يا عبد الله إنى أنا الحرى الثكلى . قال « **يا أمة الله إتقى الله واصبرى** » قالت : يا عبد الله قد أسمعتنى فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها . ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفيه ؟ قالت : لا والله قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**) [2] أى إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفى صحيح مسلم : مات إبن لأبى صلحة من أم سليم ، فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء أبو طلحه فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك .

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٣٥/٥ وصححه الحاكم ٣٨٤/١ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٢١٤٤/٤ بلفظ قريب من هذا والله أعلم .

قال : فغضب أبو طلحة ، فقال : تركتني حتى إذا تلطت أخرتيني يا بني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : « **بارك الله لكما في ليلتكما** » [1] . فذكر الحديث . وفي الحديث : « **ما أعطى أحداً عطاء خيراً أوسع من الصبر** » . وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم ، وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عرضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : لعاقل يصنع أو بوم من أيام المصيبه ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، إعلم أن امضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعنا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه : أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ١٣٠١/٣ وغيره .

وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلاً فقال : إن من كان لك فى الأخرة أجراً خير ممن كان فى الدنيا سروراً وفرحاً .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه دفن إبناً له ثم ضحك عند القبر، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان . وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول فى ابنه ونظر إليه : إنى أعلم خلة فيك ، قيل وما هى ؟ قال : بموت فأحتسبه.

وعن الحسن البصرى رحمه الله : أن رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائباً فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : يا أبا سعيد هونت على وجدى على ابنى .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال : يا بنى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى فى الحق . قال : يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلىّ من أكون فى ميزانك . قال : يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلىّ من أن يكون ما أحب .

ومات ابن الإمام الشافعى فنشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

ووقت فى رِجْل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . إلا أنه قال:﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾[1]

---

(١) سورة الكهف (٦٢) .

وتمثل بهذه الأبيات :

لعمرى ما أهويت كفى لريبة ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء وأخذت إبناً وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عبسياً يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى ، وكان البعير صعباً فند (أى شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبى إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى فى بطنه فقتلته ، ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى ، فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير .

فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء.

وذكر أن عثمان رضى الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانه إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى استعين بك عليهم ، وأستعينك على جميع أمورى ، وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

وقال المدائنى : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها ، فقلت : تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لى زوج ، وكان لى منه إبنان ، فذبح أبوهما شاة فى يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم

جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب ، فخرج أبوه فى طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردنى الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لى لدمت له ولكنه كان جرحاً فاندمل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان له فرطان من أمتى دخل الجنة** »[1] يعنى ولدين .

قالت عائشة رضى الله عنها : بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ: « **ومن كان له فرط يا موفقة** » قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال «**أنا فرط أمتى لم يصابوا بمثلى** » .

وعن أبى عبيدة رضى الله عنه عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قدّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً من النار** »[2] . فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال : (**واثنين**) : قال أبىّ بن كعب سيد القراء قدمت واحزاً . قال ﷺ : (**وواحداً ولكن ذلك فى أول صدمة**) . وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربى ابن وكان له عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، فمات فجئت أعزيه قال لى : كنت أشتهى موت ابنى هذا . قلت : يا أبا إسحاق زنت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث . قال : نعم رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً فى أيديهم قلاق ماد يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوم حار شديد حره ، قال ، فقلت لأحدهم : اسقينى من هذا الماء . قال : فنظر إلىّ ، وقال لى : ليس أنت أبى : فقلت : ومن أنتم ؟ نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

---

(١) حديث ضعيف رواه أحمد فى مسنده ٣٣٤/١ وغيره وفيه عبد ربه بارق صدوق يخطىء .

(٢) حديث ضعيف رواه الترمذى ١٠٦١/٣ وغيره باسناد فيه انقطاع .

وروى مسلم عن أبى حسان قال، قلت لأبى هريرة رضى الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال : نعم، صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة.

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كنت فى أول أمرى مكباً على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتاً فأحببتها حباً شديداً، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأهرقته بين يدى، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها. قال: فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبرى، وإذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى - والتنين الحية العظيمة - قال: فهربت منه فتبعنى، وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه، فمررت فى طريقى على شيخ نقى الشياب ضعيف، فقلت، يا شيخ بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى واهلاكى. فقال: يا ولدى أنا شيخ كبير وهذا أقوى منى ولا طاقة لى به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه. قال : فأسرعت فى الهرب وهو ورائى، فأشرفت على طبقات النار وهى تفور، فكدت أن أهوى فيها، وإذا قائل يقول: لست من أهلى فرجعت هارباً، والتنين فى أثرى، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فتحت الأبواب وفرعت الستور وأشرقت علىّ منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتى معهم، فلما رأتنى نزلت إلى كفة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً، وجلست فى حجرى وقالت يا أبت ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [1] فقلت : يا بنية وأنتم تعرفون القرآن ؟

---

(١) سورة الحديد آية (١٦) .

قالت: نحن أُعرف به منكم. قلت: يا بنية ما تصنعون ههنا؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا. فقلت: يا بنية ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد إهلاكى؟ قالت: يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك، فقلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته؟ قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين، قال ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتى.

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو إناثاً، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة إذا صبروا واحتسبوا وقالوا: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه ﴾ [1] أى نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلاك والفناء.

وعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين، إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة. أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة »** [2].

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم ﴿ إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول (يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) [3].

وعن أم سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قال عند المصيبة ﴿ إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره الله وأخلف له خيراً منها»**. قالت: فلما توفى

(١) سورة البقرة آية (١٥٦) .

(٢) حديث ضعيف رواه البيهقى فى الشعب ٩٨٥٤/٧ وغيره .

(٣) سورة يوسف آية (٨٤) .

أبو سلمة قالت: من خير من أبى سلمة؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

وعن الشعبى أن شريحاً قال: إنى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم يكن أعظم منها، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها، وأحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها فى دينى. وقوله ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [1] الصلوات من الله الرحمة والمغفرة ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل إلى الجنة والثواب.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ نعم العدلان ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ نعم العلاوة.

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور، أو لطم خداً، أو شق جيباً، أو نشر شعراً أو حلقه أو قطعه أو نتفه «فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان أو امرأة.

وقد روى أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رمحاً يريد أن يحارب ربه. وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه، يعنى من الندب والنياحة. وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جبذ الميت وقيل له أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟ فالنراح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر، وفيه مخالفة التسليم للقضاء. والإذعان لأمر الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٧) .

حكاية : قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت، وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقاً، ونزلت عليهم أطباق مغطية، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم. قال: فتقدمت إليه وقلت يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وأرحم غربتى، لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجاً: إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن عليّ وينحن كل يوم، فأنا معذب بذلك، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى، فلا جزاها الله عنى خيراً، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال: يا صالح بالله عليك اذهب إليها فهى فى المكان الفلانى وعلم لى المكان، وقل لها لم تعذبى ولدك يا أماه، ربيتنى ومن الأسواء وقيتنى، فلما مت فى العذاب رميتنى.

يا أماه لو رأيتينى: الأغلال فى عنقى والقيد فى قدمى، وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى، فلو رأيت سوء حالى لرحمتنى، وإن لم تتركى ما أنت عليه من الندب والنياحة، الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء. قال صالح: فاستيقظت فزعاً، ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب، فاستدللت عليها فأتيتها، فإذا بالباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار. فطرقت الباب فخرجت إلىّ عجوز، فقالت: ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذى مات فقالت : وما تصنع بها هى مشغولة بحزنها. فقلت : أرسليها إلى، معى رسالة من ولدها. فدخلت فأخبرتها، فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لى: من أنت؟ قلت: أنا صالح المرى جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا، رأيته فى العذاب وهو يقول: يا أمى ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى، فلما مت فى العذاب رميتينى، وإن لم تتركى ما أنت عليه، الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء. فلما

سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً، وقالت : يا ولدى يعز على، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب، وأخرجت إلى كيساً فيه دراهم كثيرة، وقالت: يا صالح تصدق بهذه عن ولدى. قال صالح: فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتى فنمت، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه، فلما رآنى جاء إلى فقال: ياصالح جزاك الله عنى خيراً، خفف الله عنى العذاب، وذلك بترك أمى ما كانت تفعل، وجاءنى ما تصدقت به عنى. قال صالح: فقلت وما هذه الأطباق؟ فقال: هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمى واقرئها منى السلام، وقل لها جزاها الله عنى خيراً، قد وصل إلىّ ما تصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى. قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب. وإذا بنعش موضوع على الباب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم.

الكبيرة الخمسون : البغى

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ

لَهُمْ عذاب أَلِيم ﴾ [1].

وقال النبى ﷺ : «**إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**» [2] رواه مسلم.

وفى الأثر: لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكاً.

وقال ﷺ : «**ما من ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم**» [3].

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [4] إلى قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ [5] الآية. قال ابن الجوزى رحمه الله : فى بغى قارون أقوال (**أحدها**) أنه جعل للبغية جعلاً على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه قال ابن عباس، (**والثانى**) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك. (**والثالث**) بالكفر قاله قتادة، (**والرابع**) أنه أطال ثيابه شبراً قاله عطاء الخرسانى، إنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى إسرائيل فظلمهم حكاه الماوردى.

قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ الآية، لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه: إنى قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها، فقال موسى: يا أرض خديه، فأخذته حتى غيبت سريره. فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم، فقال: يا أرض خذيه. فأخذته حتى غيبت قدميه، فما زال يقول: يا أرض خذيه حتى غيبته. فأوحى الله إليه :

(١) سورة الشورى آية (٤٢) .

(٢) انظر صحيح مسلم ٢٨٦٥/٤ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٣٦/٥ والترمذى ٢٥١١/٤ وقال حديث حسن صحيح .

(٤) سورة القصص آية (٧٦) .

(٥) سورة القصص آية (٨١) .

يا موسى وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته! قال ابن عباس فخسف به الأرض إلى الأرض السفلى. قال سمرة ابن جندب: إنه كل يوم يخسف به قامة. قال مقاتل: فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فحسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام.

﴿فما كان من فئة ينصرونه من دون الله﴾ أى يمنعونه من الله **﴿وما كان من المنتصرين﴾** أى من الممتنعين مما أنزل به، والله أعلم.

اللهم إنك إذا قبلت سلمت، وإذا أعرضت أسلمت، وإذا وفقت ألهمت، وإذا خذلك أتهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين.

الكبيرة الحادية والخمسون:

الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ (١).

قال الواحدى : فى قوله تعالى ﴿واعبدوا اللهولا تشركوا به شيئا﴾: أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجانى بإسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبى ﷺ على حمار، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله . قال : «**هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على**

---

(١) سورة النساء آية (٣٦)

الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**» (١).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: أتى النبى ﷺ أعرابى فقال: يا نبى الله أوصنى ، قال: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرّقت، ولا تدع الصلاة لوقتها فإنها ذمة الله، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**» (٢).

قوله : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب، ولا يغلظ لهما الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدى السيد تذللاً لهما. قوله : ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال يصلهم ويتعطف عليهم، ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ببذل يسير ورد جميل، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعنى الذى بينك وبينه قرابه فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام، ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله، وقوم أجانب والجنابة : البعد. عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » (٣). وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : «**إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول: يا رب أوسعت على أخى هذا واقترب على، أمسى طاوياً ويمسى هذا شبعان، سله لم أغلق بابه عنى وحرمنى ما قد أوسعت به عليه**» (٤).

(**والصاحب بالجنب**) قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة. (**وابن السبيل**) : هو الضعيف يجب اقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك.

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٢٨٥٦/٦ وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة ٤٠٣٤/٢ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠١٤/١٠ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه الاصبهانى فى الترغيب (٨٧٥) وغيره وصححه الالبانى .

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ : يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ قوله: **﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾**، قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله، والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل ممن كان قبلكم يمشى فى حلة مختالاً فخوراً إذ أبتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة**» [1]. وعن أسامة قال: سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من جر ثوبه من الخيلاء.لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» [2] هذا ما ذكره الواحدى.

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة، وبالإحسان إلى المملوك، ويقول : «**الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم**» [3].

وفى الحديث: «**حسن الملكة يُمن وسوء الملكة شؤم**» [4] وقال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة سيء الملكة**» [5].

قال أبو مسعود رضى الله عنه: كنت أضرب مملوكاً لى بالسوط فسمعت صوتاً من ورائى «**إعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال، قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لى بعده أبداً. وفى رواية سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ، وفى رواية: فقلت هو حر لوجه الله، فقال: «**أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة**»، رواه مسلم. وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه**»، ومن حديث

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٣/١٠ وغيره .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٧٨/١ وغيره بإسناد حسن .

(٤) حديث ضعيف رواه أحمد ٥٠٢/٣ باسناد فيه اضطراب .

(٥) حديث ضعيف رواه أحمد فى المسند ٧/١ وفيه فرقد السبخى وهو ضعيف .

حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»** [(١)].

وفي الحديث **«من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة»** وقيل لرسول الله ﷺ كم نعفو عن الخادم؟ **«قال: في اليوم سبعين مرة»** [(٢)].

وكان في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال: **«لولا القصاص لضربتك بهذا السواك»**، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني قلت لأمتي يا زانية، قال. **(وهل رأيت عليها ذلك؟)** قالت: لا. **(أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة)** [(٣)] فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطاً، وقالت: أجلديني. فأبت الجارية فاعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقها فقال: «عسى» أي عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«من قذف مملوكه وهو بريء مما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا أن يكون كما قال»** [(٤)]. وفي الحديث **«للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف مالا يطيق»** [(٥)]، وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول: «**الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله، فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم**

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٢٦١٣/٤ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم .

(٣) حديث ضعيف جداً رواه الحاكم ٣٧٠/٤ وضعفه الذهبي .

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ٦٨٥٨/١٢ وغيره .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ١٦٦٢/٣ .

إياكم» [1].

ودخل جماعة على سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله، فقالوا له: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال رضى الله عنه: إنّا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملاً آخر. وقال بعض السلف: لا تضرب المملوك فى كل ذنب ولكن احفظ له ذلك، فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره الذنوب التى بينك وبينه.

(فصل) ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** » [2]. قال على كرم الله وجهه: وهب لى رسول الله غلامين أخوين فبعث أحدهما، فقال رسول الله ﷺ : «رده رده». ومن ذلك أن يجوّع المملوك والجارية والدابة. يقول رسول الله ﷺ «**كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته**» [3]، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها، أو يحملها فوق طاقتها فقد روى فى تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [4] الآية قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم، حتى أنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة، ثم يقال لهم: كونوا تراباً، فهنالك يقول الكافر: يا ليتنى كنت تراباً. وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم، حتى أن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٤١٣/٥ وغيره وصححه الحاكم ٥٥/٢ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ٩٩٦/٢ .

(٤) سورة الانعام آية (٣٨) .

رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض**» [1] أى من حشراتها.

وفى الصحيحين أنه ﷺ رأى امرأة معلقة فى النار والهرة تخدشها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع، وهذا عام فى سائر الحيوان، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (**بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث**) [2]. فهذه بقرة أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل فى غير ما خلقت له، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

قال أبو سليمان الدارانى: ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً، فرفع رأسه ونظر إلى وقال يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر: قال: فقلت لا أضرب شيئا بعده أبداً. ومر ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً. والغرض كالهدف وما يرمى إليه. (**ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم**) [3] يعنى أن تحبس للقتل، وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام «**إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» [4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٣٣١٨/٦ وغيره.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٢٣٢٤/٥ وغيره.

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٥٥١٣/٩ وغيره.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ١٩٥٥/٣.

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال **«إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما»** (١).

قال ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف، فجاء النبى ﷺ وقال: **«من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها»** ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل - أى مكان نمل - قد أحرقناها فقال: من حرق هذه ؟ قلنا: نحن، فقال عليه الصلاة والسلام: **«إنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها»** (٢). وفيه من النهى عن القتل والتعذيب بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما.

(**فصل**) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، وقال: يا رب سل هذا لم قتلنى عبثاً ولم يقتلنى لمنفعة؟»** (٣).

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك فى الأثر، ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله، قال: ذبح رجل عجلاً بين يدى أمه فأيبس الله يده.

(**فصل**) فى فضل عتق المملوك. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال **«من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه»** أخرجه البخارى.

وعن أبى إمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكاً له من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين**

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٢٩٥٤/٦ .

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود ٢٦٧٥/٣ وصححه الألبانى .

(٣) حديث ضعيف رواه النسائى ٢٠٦/٧ وغيره وفيه صهيب مولى ابن عامر لا يعرف حاله .

منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فكاكها من النار يجزئ كل عضو منها» [1] رواه الترمذى وصححه.

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين.

الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه»** [2]. أى غوائله وشروره، وفى رواية: **«لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه»** [3]. وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وأن تزنى بحليلة جارك»** [4]. وفى الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»** [5]. والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر له حق الجوار.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما له جار يهودى، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها: وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة، ويقول : يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وأغلق عنى بابه.

وينبغى للجار أن يحمل أذى الجار، فهو من جملة الإحسان إليه. جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا قمت به دخلت الجنة. فقال: «كن محسناً»، فقال: يا رسول الله كيف أعلم أنى محسن؟ قال : **«سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسئ فأنت**

---

(١) حديث صحيح انظر سنن الترمذى ١٥٤٧/٤ .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠١٦/١٠ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم برقم (٤٦) .

(٤) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠١٨/١٠ وغيره .

مسئ»[1] ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: **«من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه»**[2]. وقيل: لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره. وفى سنن أبى داود من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له «اذهب فاصبر»، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم **«قال اذهب فاطرح متاعك على الطريق»** ففعل، فجعل الناس يمرون به، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون: فعل الله به وفعل ويدعون عليه، فجاء إليه جاره وقال: يا أخى ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبداً[3].

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذمياً، فقد روى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله أنه كان له جار ذمى، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسى وقال له : أدخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة، فقال ما هذا الذى أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرنى أجلى، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسى: أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى؟ مد يدك فإنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن

(١) حديث صحيح رواه الحاكم فى المستدرك ٣٧٨/١ وغيره وصححه .

(٢) حديث ضعيف جداً رواه ابن عدى فى الكامل ١٧١/٥ وغيره بسند ضعيف .

(٣) انظر سنن أبى داود ٥/٥٣/٤ .

محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١).

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (٣).

وقال ﷺ : **«إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه»** (٤). وقال ﷺ : **«عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج أو هلك»** (٥).

وفى الحديث **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** (٦) وقال

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٨) .

(٢) سورة الحجرات آية (١١) .

(٣) سورة الحجرات آية (١٢) .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠٣٢/١٠ وغيره .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ٢٧٨/٤ وغيره وصححه الألبانى .

(٦) حديث صحيح رواه مسلم ٢٥٦٤/٤ .

عليه الصلاة والسلام «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» [1] وفيه أيضاً «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال: «**لا خير فيها هى فى النار**» صححه الحاكم. وفى الحديث أيضاً: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم**»[2] وقال رسول الله ﷺ «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**» [3]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**مررت ليلة أسرى بى بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوهم وصدروهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: «هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**» [4].

(**فصل**) فى الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب: صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم**» [5]، فكل من حرش بين اثنين من بين آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس، كما قال النبى ﷺ «**ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت**» والعنت المشقة. وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» [6]، والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين

(١) حديث صحيح رواه البخارى ٢٤٤٢/٥ وغيره .

(٢) حديث ضعيف رواه أبو داود ٤٩٠٠/٤ وغيره وفيه عمران بن أنس المكى منكر الحديث .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠٤٥/١٠ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ٢٢٤/٢ وغيره وصححه الألبانى .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ٢٨١٢/٤ .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى ٦٠٥٦/١٠ ومسلم ١٠٥/١ .

بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا، إلا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب. وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله. ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها، والعبد على سيده. لما روى أن رسول الله ﷺ قال: «**ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده**» (١) نعوذ بالله من ذلك.

(**فصل**) فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس، قال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢). قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ماكان من أعمال الخير، وهو قوله ﴿ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ثم حذف المضاف ﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ ، قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها. قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبى أيوب الأنصارى ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال : **تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا**» وروت أم حبيبة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله**» (٣).

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) سورة النساء آية (١١٤) .

(٣) حديث ضعيف رواه الترمذى ٢٤١٤/٤ وفى اسناده من لا يعرف .

وروى أن رجلاً قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث، قال سفيان: ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ الآية. فهذا هو بعينه.

ثم علم سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال الله تعالى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أى ثواباً لا حد له.

وفى الحديث «**ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً**» رواه البخارى [1]. وقالت أم كلثوم. ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاثة أشياء : فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها . وعن سهل بن الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه من أصحابه رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **ما عمل شىء أفضل من مشى إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين**»[2]. وقال رسول الله ﷺ : « **من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه** »[3] وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

---

(١) انظر صحيح البخارى ٢٦٩٢/٥ .

(٢) حديث صحيح رواه الأصبهانى فى الترغيب (١٨١) باسناد صحيح وصححه الألبانى .

(٣) حديث ضعيف رواه الأصبهانى فى الترغيب (١٨٦) وضعفه المنذرى فى ترغيبه ٢٩٣/٣ .

الكبيرة الرابعة والخمسون

أذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١)

وقال الله‌تعالى :

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : (**من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب**) (٣) ، وفى رواية : (فقد بارزنى بالمحاربة) أى أعلمته أنى محارب له . وفى الحديث (أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فزتى النبى ﷺ فأخبره ، فقال : (**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك**) فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخى) وقولهم مأخذها : أى لم تستوف حقها منه .

(**فصل**) فى قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٤)

الآيات. وهذه الآيات فى تفصيل الفقراء ، وسبب نزولها أن النبى ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبى أرسل أول من امن به الفقراء ، فكان

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٨) .

(٢) سورة الشعراء آية (٢١٥) .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٥٠٢/١١ .

(٤) سورة الكهف آية (٢٨) .

رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطرد الفقراء ، فجاد بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطرد الفقراء عنك ، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١)

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فأنزل الله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢) .

أى لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة أبناء الدنيا .

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (٣)

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ (٤) ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٥) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم

ولما هاجر رسول الله إلى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى

---

(١) سورة الأنعام آية (٥٢) .

(٢) سورة الكهف آية (٢٨) .

(٣) سورة الكهف آية (٢٩) .

(٤) سورة الكهف آية (٣٢) . قال تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناها بنخل وجعلنا بينهما زرعا ﴾ .

(٥) سورة الكهف آية (٤٥) قال تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ .

كثروا رضى الله عنهم . هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشىء من الأكوان بل قالوا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفى ميدان ودك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبداً لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ﴾ (١) الآية ، أى : ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقبلون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون. لا تطرد قوماً المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص ، فالعام الحاجة إلى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) الآية ، والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالاً بالله عز وجل وشوقاً إليه ، وأنساً بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

---

(١) سورة الأنعام آية (٥٢) .

(٢) سورة فاطر آية (١٥) .

الكبيرة الخامسة والخمسون :

إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززاً وعجباً وفخراً وخيلاء

قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)

وقال النبى ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً » (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٤)

وفى الحديث أيضاً : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال فى مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (٥)

وقال عليه الصلاة والسلام « من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٦) ، وقال ﷺ « الاسبال فى الإزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار » (٨) .

---

(١) سورة لقمان آية (١٨) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٧/١٠ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٨/١٠ .

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ١٧١/١ .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٣٤٨٥/٦ وغيره .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٣/١٠ وغيره .

(٧) حديث صحيح رواه النسائى ٢٠٨/٨ وغيره بسند حسن .

(٨) حديث صحيح رواه مالك ٩١٤/٢ وغيره .

وهذا عام فى السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينما رجل يصلى مسبلاً إزاره قال له رسول الله (**إذهب فتوضأ**) ثم جاء فقال (**إذهب فتوضأ**) فقال له رجل يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : «**إنه كان يصلى وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً إزاره** » [1] .

ولما قال ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله ﷺ (**إنك لست ممن يفعله خيلاء**) [2] .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة السادسة والخمسون
لبس الحرير والذهب للرجال

فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** » [3] وهذا عام فى الجند وغيرهم لقوله « **حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتى** » [4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ، أخرجه البخارى .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . وأما لبس

---

(١) حديث ضعيف رواه أحمد ٦٨/٤ وغيره باسناد ضعيف .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٥٧٨٤/١٠ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٥٨٣٢/١٠ وغيره .

(٤) حديث صحيح رواه الترمذى ١٧٢٠/٤ وقال حديث حسن صحيح .

الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين ، سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال : « **يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده** »[1] ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب: « **هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم** »[2] فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون : إباق العبد

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة** » وقال ﷺ : « **أيما عبد أبق فقد برئت مه الذمة** » وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو** »[3] . وعن فضالة بن عبيد مرفوعاً : (**ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه وعبد آبق ومات عاصياً ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده**)[4] أي أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ كذا ذكره الواحدي رحمه الله .

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٣/٢٠٩٠ .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد ١٩/٦ باسناد حسن .

الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل

مثل من يقول : باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ (١)

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله : **﴿ وما ذبح على النصب ﴾**

وقال الكلبى : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى. وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله : **﴿ إنه لفسق﴾** يعنى : وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (٢) أى يوسوس الشيطان لوليه فيبقى فى قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الرنس كيف تعبدون شيئاً لا تزكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعنى فى استحلال الميتة ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، قال الزجاج: وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل فهو مشرك .

فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت : إن المفسرين فسروا ما لم يذكر ايم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله ﴿ وإنه لفسق ﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ والمناظرة إنما

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢١) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٢١) .

كانت فى الميتة بإجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين، ومنها قوله ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١) والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبر أبو منصور بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سأل رجل رسول الله فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى ؟ فقال النبى ﷺ « **اسم الله على فم كل مسلم** » (٢) .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « **المسلم يكفيه اسمه وان نسى أن يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل** » (٣)

وأخبرنا عمرو بن أبى عمرو باسناده عن عائشة رضى الله عنها أن قوماً قالوا : يا رسول الله إن قوماً يأتونا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **سموا عليه وكلوا** » (٤) ، هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « **لعن الله من ذبح لغير الله** » (٥) .

الكبيرة التاسعة والخمسون :

فيمن أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام** » (٦) رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر** » (٧) رواه البخارى .

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢١) .

(٢) حديث موضوع رواه ابن عدى فى الكامل ٣٨٥/٦ وفيه مروان بن سالم الغفارى كان يضع الحديث

(٣) حديث موقوف على ابن عباس انظر البيهقى ٢٣٩/٩ .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٢٠٥٧/٤ وغيره

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ١٩٧٨/٣ .

(٦) انظر صحيح البخارى ٦٧٦٦/١٢ .

(٧) انظر صحيح البخارى ٦٧٦٧/١٢ .

وفيه أيضاً : « **من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله** »[1] . وعن زيد بن شريك قال : رأيت علياً رضى الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما فى هذه الصحيفة فنشرها ، فإذا فيها أسنان الإبل وشىء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ « **المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة** »[2] رواه البخارى . وعن أبى ذر إنه سمع النبى ﷺ يقول : « **ليس منا رجلاً ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** » أى رجع عليه ، وورواه مسلم . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[3] .

ومما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الإمام « حجة الإسلام » الغزالى[4] رحمه الله : (المراء طعنك فى كلام

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ١٣٧٠/٢ وغيره .

(٢) انظر صحيح البخارى ٣١٧٩/٦ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٠٤ - ٢٠٥)

(٤) الغزالى : هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ولد بطوس فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف من الأحياء والتهافت والمنقذ من الضلال والمقاصد . توفى الإمام الغزالى سنة ٥٠٥ هـ انظر شذرات الذهب ١٠/٤ لسان الميزان ٩٣/١ طبقات ابن هداية (١٩٢) .

لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه) . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصوداً من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والمراد لا يكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالى .

وقال النووى [1] رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [3] ، وقال الله تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [4] ، قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وإن كان فى مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة فى إباحته وذمه . والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

ـ (فإن قلت) لابد للإنسان من الخصومة لاستيفاد حقوقه ، (فالجواب) ما أجاب به الغزالى رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل فى الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه ، كذلك من خلط

---

(١) النووى : هو الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووى ولد فى نوا من قرى حوران تعلم فى دمشق كان محرراً للمذهب ذا التصانيف المشهورة المباركة والمفيدة وكان ورعاً ولم يتزوج ولى دار الحديث بالإشرافيه بدمشق له المجموع شرح المهذب رشرح مسلم والاذكار وتهذيب الأسماء واللغات ومنهاج الطالبين . انظر الشذرات ٣٥٤/٥ مرآة الجنان ١٨٢/٤ السبكى ١٦٥/٥ حسن المحاضرة ٧٥/٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٦) .

(٣) سورة النحل آية (١٢٥) .

(٤) سورة غافر آية (٤) .

الخصومة كلمات تؤذى وليس له إليها حاجة فى تحصيل حقه ، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعل هذا ليس حراماً ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً ، لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمسادة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه فى عرضه . فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى إنه يكون فى صلاته ، وخاطره متعلق المحاججة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها .

روينا فى كتاب للترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً** » (١) .

وجاء عن على رضى الله عنه قال : إن الخصومة لها قحم . قلت القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهى : المهالك .

(**فصل**) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط حتى ينزع** » (٢) .

وعن أب زمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال**(٣) **ثم تلا ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ﴾** (٤) الآية .

---

(١) حديث ضعيف رواه الترمذى ١٩٩٤/٤ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) حديث ضعيف رواه الاصبهانى فى الترغيب (٩٧٤) وغيره باسناد ضعيف وفيه رجاء أبو يحيى الحرشى وهو ضعيف .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى ٢٢٥٣/٥ وغيره .

(٤) سورة الزخرف آية (٥٨) .

وقال ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق فى القرآن ودنيا تقطع أعناقكم** »[1] رواه ابن عمر .

وقال النبى ﷺ : « **المراء فى القرآن كفر** »[2] .

(**فصل**) : يكره التغيير فى الكلام بالتشدق ، وتكلف السجع بالفحاصة بالمقدمات التى يعتادها المتفاحصون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يثقله .

روينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة** »[3] قال الترمذى : حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وان من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون** » قال الترمذى حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدق من يتطاول على الناس فى الكلام ويبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب ، إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

---

(١) حديث ضعيف رواه البيهقى فى الشعب ١٠٣١١/٧ باسناد ضعيف .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٢٥٨/٢ وغيره وصححه الحاكم ٢٢٣/٤ .

(٣) حديث حسن رواه أحمد والترمذى وقال حسن غريب .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [1]

قال النبي ﷺ : « **لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ** » [2]

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من منع فضل مائه وفضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه منها لم يف له، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدق وهو على غير ذلك** » أخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى : « **ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك** » [4] .

الكبيرة الثانية والستون
نقص الكيل والذراع وما أشبه ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [5] يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن قوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [6] يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا

(١) سورة الملك آية (٣٠) .
(٢) حديث صحيح رواه البخارى ٦٩٦٢/١٢ وغيره .
(٣) حديث صحيح رواه أحمد ١٧٩/٢ وغيره .
(٤) حديث صحيح رواه البخارى ٢٣٦٩/٥ وغيره .
(٥) سورة المطففين آية (١) .
(٦) سورة المطففين آية (٢)

عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر ﴿ إذا اتزنوا ﴾ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [1]. أى ينقصون فى الكيل والوزن . وقال السدى : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل لأحدهما ويكتال بالآخر . فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **خمس بخمس**» ، قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : « **ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون** « يعنى كثرة الموت » ، **ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر** » [2] ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [3] قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أى يوم القيامة . ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ ﴾ من قبورهم ﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى لأمره ولجزائه وحسابه، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال دخل على جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار. قال قلت : ما تقول ؟ قال يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر وقال مالك بن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحى كلما ضربت أحدهما بالآخر أزداد الأمر عظماً وشدة فمات فى مرضه .

والمطفف : هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففاً لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله

---

(١) سورة المطففين آية (٣) .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) سورة المطففين آية (٤) .

من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه الجبال لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وازن بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهاده ولسانه لا ينطق بها ! فلما أفاق قلت له : يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال يا أخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزانى . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصاً ؟!

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذ شدّ يده فى الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض ، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة » فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى : ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾ أى أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية :

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [1] .

وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله

(١) سورة الأنعام آية (٤٤) قوله ﴿ أخذناهم بغتة ﴾ أى أنزلنا بهم العذاب فجأة وقوله ﴿ هم مبلسون ﴾ أى آيسون من الرحمة .

يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [1] .

الإبلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، وقال ابن عباس : أيسوا من كل خير . وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين .

وفى الأثر : إنه لما مكر بإبليس - وكان من الملائكة [2] - طفق جبريل وميكال يبيكيان ، فقال الله عز وجل لهما : ما لكما تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى « هكذا كونا لا تززمنا مكرى » . وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول « **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** » فقيل له يا رسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء** » [3] .

وفى الحديث الصحيح [4] « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم** » [5] .

---

(١) سورة الأنعام آية (٤٤) .

(٢) فى الحقيقة أن إبليس لم يكن من الملائكة ولكن كان معهم وتشبه بهم فى أفعالهم قال تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾ والآيات التى تجمع ابليس مع الملائكة وتعده منهم فهى على سبيل التغليب لا أنه كان منهم والله تعالى أعلم .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى ٢١٤٠/٤ وقال حديث حسن

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم ٢٦٤٣/٤ .

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ٤٢٠٢/٧ وغيره .

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام [1]. وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة ، وكذلك برصيصاً [2] العابد مات على الكفر ، وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنار دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ـ وكانت جميلة ـ فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لا أجيبك إلى ريبة . قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأبى لا يزوجنى بك ، قال : أتنصر . قالت له : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم فى الدار ، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة.

وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحلف « **لا ومقلب القلوب** » [3] رواه البخارى ، ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف . وفى التنزيل ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [4] قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [5] أى عقل ، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان

---

(١) قال تعالى فى سورة الاعراف ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾ ١٧٥-١٧٦ انظر تفسير ابن كثير .

(٢) قال تعالى فى سورة الحشر ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ قيل أنها نزلت فى عابد بنى اسرائيل انظر تفسير ابن كثير .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ٦٦١٧/١١ .

(٤) سورة الأنفال آية (٢٤) .

(٥) سورة ق آية (٣٧)

شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك** » فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا فهل تخشى ؟ قال : « **وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه** » [1] . فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك إن كان من كسبك ، فإنه من خلق ربك وفضله الدّار عليك ، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخراً بمتاع غيرك ، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم. ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العظيم .

ابن آدم . الأقلام عليك تجرى ، وزنت فى غفلة لا تدرى ، ابن آدم المغانى والزوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس فى هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت فى أمرك الأقدار ، قال الربيع : سئل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى .

ينادى مناد من قبل العرش : أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصت إلا وتضطرب فرائصه ، قال ، فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين الله عز وجل ، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له عبدى أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : عبدى أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

تعالى: أسمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : يا عبدى عصيتنى؟ فيقول : يا رب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى : عبدى فما ظنك اليوم بى؟ فيقول يا رب أن تعفو عنى ، فيقول الله تعالى : عبدى تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يا رب أنك رأيتنى على المعصية وسترتها على : قال فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها وأنا الجواد الكريم .

إلهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، لولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضى ، وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ، ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل فى بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الكبيرة الرابعة والستون : أذية أولياء الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ...** ﴾

وقال النبى ﷺ : « **يقول الله تعالى : من عادى لى وليًا قد آذنته بالحرب**»[1] وفى الحديث « **يا أبا بكر إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك** » [2] يعنى فقراء المهاجرين .

(١) حديث صحيح سبق الاشارة إليه .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

الكبيرة الخامسة والستون :

تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : « **لقد هممت أن آمر رجل يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم** » رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « **من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه** » (١) أخرجه أبو داود والنسائى ، وقال : « **من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً فى ديوان لا يمحى ولا يبدل** » (٢)

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ورواح الجمعة واجب على كل محتلم** » (٣) أى على كل بالغ .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة السادسة والستون :

الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى :

﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (٤)

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود ١٠٥٢/١ وغيره باسناد صحيح .

(٢) حديث صحيح رواه النسائى ٨٩/٣ بإسناد صحيح .

(٣) حديث صحيح رواه النسائى ٨٩/٣ وغيره باسناد صحيح .

(٤) سورة القلم (٤٢ - ٤٣) .

الجماعات . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

وفى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** »[1] وفى رواية لمسلم أيضاً من حديث أبى هريرة : « **لقد هممت أن آمر فتيتى أن يجمعوا لى حزماً من حطب ثم آتى قوماً يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم** » . وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روى أبو داود فى سننه بإسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادى فلم يمنعه من إتيانه عذر قيل وما العذر يا رسول الله ؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى** »[2] يعنى فى بيته .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع ، فقال : إن مات هذا فهو فى النار .

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : **هل تسمع النداء بالصلاة** ؟ قال : نعم ، قال : « **فاجب** »[3] وفى رواية أبى داود أن ابن مكتوم جاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ فقال له النبى ﷺ : « **تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح** » ؟

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ٦٥٣/١ .

قال: نعم . قال : « **فأجب ، فحى هلا** »[1] وفى رواية أنه قال : يا رسول الله إنى ضرير شايع الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة : وقوله « **فحى هلا**» أى تعال وأقبل .

وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسولا لله ﷺ « **ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له** » . قالوا : وما العذر يا رسول الله؟ قال : « **خوف أو مرض** »[2] « **لعن الله ثلاثة ـ من تقدم قوماً وهم له كارهون ،وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلاً سمع حى على الفلاح ثم لم يجب** »[3] قال أبو هريرة «لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لا يجب » . وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ فقال : من يسمع الأذان ، قال أيضاً : « **من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر** »[4] .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافقق معلوم النفاق أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف ، يعنى يتكىء عليهما من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الإثم فى تركها .

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٣) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .

(٤) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(**فصل**) : وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى : ﴿**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون**﴾ إنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى : ﴿ **ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾ أى خطاهم .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه» .

وقال ﷺ : «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**» رواه مسلم.

الكبيرة السابعة والسنون: الإضرار في الوصية

قال الله تعالى :

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ (١)

إى غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه. وقال الله تعالى :

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٢) .

قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث ﴿**ومن يطع الله**

(١) سورة النساء آية (١٢) .

(٢) سورة النساء آية (١٢) .

ورسوله﴾ فى شأن المواريث ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) قال مجاهد فيما فرض الله من المواريث.

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويعد ما قال الله ﴿يدخله نارا﴾.

وقال الكلبى يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالاً ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٢). وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار»** (٣) ثم قرأ أبو هريرة هذه الاية **﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾** رواه أبو داود.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة».

وقال عليه الصلاة والسلام **«إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث»** (٤) صححه الترمذى.

الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة

قال الله عز وجل :

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٥).

وقال النبى ﷺ : **«المكر والخديعة فى النار»** (٦).

---

(١) سورة النساء آية (١٣) .

(٢) سورة النساء آية (١٤) .

(٣) حديث ضعيف رواه الترمذى ٢١١٧/٤ بسند ضعيف .

(٤) حديث صحيح رواه الترمذى ٢١٢٠/٤ وقال حديث حسن صحيح .

(٥) سورة فاطر آية (٤٣) .

(٦) حديث صحيح صححه الألبانى (١٠٥٧) .

وقال ﷺ : **«لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان»** [1] وقال الله تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [2]. قال الواحدى يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم وبقوا فى الظلمة.

وقال ﷺ فى حديث : **«وأهل النار خمسة، وذكر منهم رجلاً لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك»** [3].

الكبيرة التاسعة والستون

من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبى ثعلبة وأن عمر أراد قتله بما فعل، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدراً، إذا ترتب على جسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك، فهذا ممن سعى فى الأرض فساداً وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب. فنسأل الله العفو والعافية. وبالضرورة يدرى كل ذى جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم.

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية، إنه لطيف خبير جواد كريم.

---

(١) حديث ضعيف سبق الإشارة إليه .

(٢) سورة النساء آية (١٤٢) .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ٢٨٦٥/٤ .

الكبيرة السبعون :

سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**) [١]، وقال ﷺ : «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» مخرج في الصحيحين [٢].

وقال ﷺ : «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه**» [٣] أخرجه الترمذي.

ففي الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ : (**الله الله**) كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر: النار النار أي احذروا النار، وقوله : (**لا تتخذوهم غرضاً بعدي**) أي لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن، كما يقال: اتخذ فلان غرضاً لسبه أي هدفاً للسب وقوله: (**فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**)، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ. فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح: «**حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق**» [٤]، وما

---

(١) حديث صحيح سبق الإشارة إليه .

(٢) انظر صحيح البخاري ٣٦٧٣/٧ وصحيح مسلم ٢٥٤٠/٤ .

(٣) حديث ضعيف رواه أحمد في المسند ٨٧/٤ وغيره وسنده ضعيف .

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ١٧/١ ومسلم ٧٨/١ .

ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً.

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد فى عقيدته، وحسبك ما جاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى ﷺ : **«ان الله اختارنى واختار لى أصحاباً، فجعل لى منهم وزراء وأنصار وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»** [1].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نسب، فقال رسول ﷺ : **«من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** [2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الله اختارنى واختار لى أصحابى وجعل لى أصحاباً وإخواناً وأصهاراً، وسيجىء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا**

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو نعيم فى الحلية ١١/٢ وغيره وسنده ضعيف .

(٢) حديث صحيح رواه ابن عدى فى الكامل ٢١٢/٥ وغيره وله شواهد هو بها صحيح .

تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم»[1].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»** [2].

قال العلماء: معناه من فحص عن سر القدر فى الخلق، وهو : أى الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه إليهم كان منافقاً. بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله، وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم، لأن (**أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله**).

قال أيوب السختيانى رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ﷺ برئ من النفاق.

(**فصل**) : وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة : أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين، ولا يشك فى ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.

وقد نص النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية حيث قال: **«وعليكم**

---

(١) حديث ضعيف رواه العقيلى فى الضعفاء (١٥٣) وفيه أحمد بن عمران الأخنس منكر الحديث .

(٢) حديث صحيح صححه الالبانى (٣٤) .

بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور» [1] الحديث.

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين. وأنزل الله فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه آيات من القرآن، قال الله تعالى :

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [2].

الآية. لا خلاف أن ذلك فيه، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى : ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [3] الآية، لا خلاف أيضاً ان ذلك فى أبى بكر رضى الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة، وبشره بالسكينة، وحلاه بثانى اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما؟ وقال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [4].

قال جعفر الصادق: لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم؟ رضى الله عنهم أجمعين.



---

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند ١٢٦/٤ وغيره وصححه الالبانى .

(٢) سورة النور آية (٢٢) .

(٣) سورة التوبة آية (٤٠) .

(٤) سورة الزمر آية (٣٣) .

فهرس الكبائر

﴿ فهـرس الكبـائر ﴾

